جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات- بالقاهرة
شعبة أصول الدين
قسم العقيدة والفلسفة

أجوبة كلامية على الأسئلة العقدية للإلحاد المعاصر

إعداد
د/ سونيا لطفى عبد الرحمن دسوقي الهلباوي
المدرس بقسم العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة





مقدمـــة

الحمد لله الذي أنعم علينا بالوجود، والعقل، والإسلام، وجعل بين أيدينا كتابًا مبينًا لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو حقًا تنزيل من حكيم حميد. وصلاة وسلامًا على الحبيب المصطفى المبعوث رحمة وهداية للعالمين

أما بعد/

فقد شاعت في الآونة الأخيرة أنواع جديدة من النقاشات بين الشباب، يغلب عليها التشتت، وعدم الإلمام الصحيح بقضايا العقيدة، مما يؤدي بهم في كثير من الأحيان إلى الإلحاد وإنكار الدين كله، بل وإنكار أي مصدر يمثل نوعًا من التقيد أو الالتزام. ولا شك أن كل واحد منا في بداية نضجه العقلي قد ورد على عقله بعض الأسئلة والاستفسارات التي تتعلق بوجود الله، وحكمة الخلق ومدى إمكان البعث.. وغير ذلك. هذا النوع من الأسئلة لم يعد يكفي في الجواب عنه ما كنا نسمعه من تحريم السؤال نفسه، والخوف من التعرض لأجوبة أي سؤال يتعلق بالله وبالوجود وبالغيب، بسبب أن ذلك قد يؤدي إلى الإلحاد والخروج من الدين؛ لأن منع السؤال نفسه والجهل الذي ترتب عليه هو الذي أدى إلى الإلحاد، خاصة بعد تقدم وسائل التواصل الاجتماعي، وأدوات البحث، وسهولة الاطلاع على ثقافات الشعوب المختلفة الصحيح منها وغير الصحيح، بالإضافة إلى استغلال بعض مواقع التواصل لنقص ثقافة هذه الفئة من الشباب ومحاولة نشر ثقافة الإلحاد فيما بينهم، من خلال إثارة بعض الأسئلة المتعلقة بتلك الاستفسارات، التي يعتقدون أن الأديان،

والفكر الديني كله لا يمكنه الجواب عنها.

وبسبب تكرار تلك الأسئلة خاصة من قبل الشباب في مرحلة الدراسة الجامعية وما بعدها، وبسبب انتشار الإلحاد في مجتمعاتنا الشرقية، وإن لم يصل إلى كونه ظاهرة[1]، بحثت في كتب علم الكلام، الذي وضع أساسًا لإثبات العقائد والرد على الشبهات التي تثار حولها، فوجدت أجوبة لكل سؤال من أسئلة الإلحاد المعاصر المتعلقة بالعقيدة. وقد اعتمدت في استقرائها على بعض مواقع التواصل الخاصة بالملحدين، وبعض كتابات الملحدين المعاصرين، وما نشر من مقالات لهم في مجلة الملحدين العرب وغيرها، ووثقت كل ذلك في مواضعه، فقررت أن أنقل تلك التجربة الكلامية لنوعين من الشباب: الشباب الذي ألحد بالفعل مساعدة له في التحقق من أمر نفسه، والتدبر في تلك الأجوبة، المعتمدة بشكل كبير على العقل

---

١ – قامت مبادرة الدراسات المستقبلية بمؤسسة طابة عام ٢٠١٦م بعمل دراسة إحصائية (استطلاع) بعنوان: مواقف جيل الشباب المسلم من الدين وعلمائه، وقد تضمنت هذه الدراسة عدة أسئلة تبين بشكل كبير نسبة الإلحاد في العالم العربي، من هذه الأسئلة:

أ- هل توافق على أن الدين يتعارض كما يُعلَّم ويُمارس حاليًا في مجتمعك مع العالم الحديث ويحتاج إلى تغيير

ب- هل توافق على أن الدين كان سببًا أساسيًا لتدهور العالم العربي في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الآونة الأخيرة؟ وكانت نسبة الإجابة بنعم كالتالي: الأردن: ١٤ % – الإمارات: ١٩ % – البحرين: ٢٩ % – السعودية: ٤% – فلسطين: ٥٧ % – الكويت: ٤ % – مصر: ١٠ % – المغرب: ٢٤ %

ج- هل تعرف ضمن دائرة أصدقائك أو معارفك أحدًا ملحدًا؟ وكانت نسبة الإجابة بنعم كالتالي: الأردن: ١ % – الإمارات: ٣ % – البحرين: ٧ % – السعودية: ١> % – فلسطين: ٦ % – الكويت: ٧ % – مصر: ١> % – المغرب: ١> %

د- هل رأيت آثارًا للإلحاد أو سمعت عنها في محيطك أو منطقتك أو مجتمعك؟ وكانت نسبة الإجابة بنعم كالتالي: الأردن: ٧ % – الإمارات: ٥١ % – البحرين: ٦ % – السعودية: ٣ % – فلسطين: ٨ % – الكويت: ٤ % – مصر: ٥ % – المغرب: ٣%

والفطرة السوية، وكذلك لمن يرد على ذهنه أمثال تلك الأسئلة ولا يجد لها جوابًا شافيًا في كثير من الأحيان. وقد راعيت أن أصوغ أجوبة المتكلمين بطريقة تتناسب مع فئة الشباب في مجتمعاتنا الشرقية، حتى تتحقق الفائدة المرجوة، ونتمثل بطريقة القرآن الكريم في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل:١٢٥]، وبقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله"[١].

وقد اقتصرت في هذا البحث على الأسئلة العقدية المنتشرة بين الشباب، مع العلم بأن هناك قدرًا كبيرًا من أسئلة الإلحاد المعاصر متعلقة بالشريعة، أو بالسيرة النبوية يعتمد عليها الملحدون في إثبات أصولهم العقدية، ومحل الإجابة عنها أبحاث أُخَر تخصص لها بمشيئة الله تعالى. وباستقراء تلك الأسئلة وجدت أنها معتمدة على أربع دعاوى أساسية كل دعوى تتضمن مجموعة من الأسئلة:

الدعوى الأولى: عدم الاعتراف بوجود إله: تتضمن عدة أسئلة:

١- هل يمكن للعلم أن يكون بديلًا عن الإله؟

٢- هل بالفعل يوجد إله؟

٣- هل القوانين الكونية حتمية أم احتمالية؟

٤- إذا كان الله موجودًا فلماذا لا نستطيع رؤيته؟

---

١ - صحيح البخاري - كتاب العلم - باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا (١/ ٣٧)

٥- أن من ولد على دين آخر ولم تتح له الفرصة لمعرفة الله هل يكون ملحدًا؟ وهل يمكن أن تكون النشأة والوراثة هما السبب الحقيقي وراء التمسك والالتزام بدين معين؟

٦- إذا كان ثمة إله موجود فمن الذي أوجده؟

الدعوى الثانية: لا علة للخلق وبالتالي لا حاجة إلى الدين والتدين. وهذه الدعوى تتضمن سؤالًا شائعًا هو: لماذا خلقت؟

الدعوى الثالثة: لسنا بحاجة إلى رسل وأنبياء: تتضمن عدة أسئلة:

١- هل العقل كاف عن النبوة؟

٢- هل عدم خضوع المعجزات للقوانين العلمية يقدح في إمكانها، ومن ثم في وقوعها؟

٣- كيف نؤمن بالمعجزات ونحن لا نسلم أن الخبر المتواتر يفيد اليقين؟

٤- هل الاعتراف بالأنبياء هو سبب العنف والقتال في العالم؟

الدعوى الرابعة: إنكار الحياة بعد الموت (اليوم الآخر): تتضمن عدة أسئلة:

١- هل من الممكن وجود حياة أخرى بعد هذه الحياة؟

٢- لماذا اليوم الأخر؟

ويتضمن هذا البحث أجوبة كلامية ميسرة لهذه الأسئلة.

أسأل الله أن يكون هذا العمل معينًا لأبنائنا على معرفة الحقيقة.

تعريف الإلحاد

المعنى اللغوي للإلحاد: الإلحاد مشتق من صيغة الفعل ألحد أو لحد، ومعناه الميل عن الشيء والعدول عنه. يقال: ألحد السهْم عَن الهدف عدل عَنهُ، وَفُلَان عدل عَن الْحق وَأدْخل فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ وَيُقَال ألحد إِلَيْهِ مَال، وَقَالَ ابنُ السِّكِّيت: المُلْحِدُ، العادِلُ عَن الحَقِّ المدْخِلُ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ، يُقَال: قد أَلْحَدَ فِي الدِّين ولَحَدَ، أَي حَادَ عَنهُ وعَدَلَ.[١]

المعنى الاصطلاحي للإلحاد: يطلق مصطلح إلحاد (Atheism) في الأصل ويراد به الاعتقاد بعدم وجود إله، أو إنكار الوجود الإلهي، إلا أنه استخدم في بعض الأحيان بمعنى إنكار بعض صفات الله أو إنكار أصل من أصول الدين.[٢] لكن المعنى الشائع والمستخدم الآن هو المعنى الأول، وهو يدل بالتضمين على المعاني الأخرى، وقد يكون إنكار أحد أصول الدين سببًا لإنكار وجود الله – كمن ينكر النبوة أو الغيب – ربما يؤدي به ذلك إلى إنكار الإله، كما سيتضح.

وبإمكاننا القول إن تعريف الإلحاد – على وجه العموم – بأنه إنكار الإله هو تعريف معاصر، حيث فرق الدكتور عبد الرحمن بدوي (١٩١٧– ٢٠٠٢م) بين الإلحاد الغربي والإلحاد العربي؛ فالإلحاد الغربي يقوم على فكرة إنكار الله، أما الإلحاد العربي فقائم على فكرة إنكار النبوة والأنبياء، ولكنه لا يفرق بين النتيجة

---

١ – انظر: تاج العروس (١٣٥/٩)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥٣٤/٢)، المعجم الوسيط (٢/ ٨١٧)

٢ –انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي (١١٩/١) ، Thomas Mautner: (The Penguin Dictionary Of Philosophy) p. 48

النهائية لكل منهما وهي إنكار الدين.[١] ونفس المعنى أشار إليه الإمام الرازي من قبل بقوله: " والإلحاد قد يكون بمعنى الإمالة، ومنه يقال: ألحدت له لحدا إذا حفرته في جانب القبر مائلا عن الاستواء وقبر ملحد وملحود، ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين إلى دين آخر "[٢]

إذن فالإلحاد بمعناه العام هو إنكار الدين، سواء كان هذا الإنكار منطلقًا من فكرة إنكار الإله أو النبوة أو إنكار الغيب (الميتافيزيقا) بوجه عام.

وقد ورد لفظ الإلحاد بمعناه اللغوي في القرآن الكريم باشتقاقين: (يلحدون)، و (إلحاد) وذلك في الآيات:

- ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]

- ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: ٤٠]

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ

---

١ – انظر: من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٧–٨، وكان تأليف هذا الكتاب سنة ١٩٤٥م

٢ – تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٠/ ٢٧١)

عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج: ٢٥][1]

أما الإلحاد بمعناه الاصطلاحي وهو إنكار وجود الله فلم يرد في القرآن الكريم بلفظ (إلحاد) بل ورد بمعناه ومدلوله، فكثيرًا ما يصف لنا القرآن الكريم أولئك الذين ينكرون وجود الله الخالق في مثل قوله تعالى:

- ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤]
- ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].
- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨]
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]
- ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩]
- ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا

---

١ – ينظر في بيان المعنى اللغوي لكلمة (يلحدون) و(بإلحاد) الواردة في الآيات: على سبيل المثال: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٧)، (٣/ ٧٤٤)، لطائف الإشارات = تفسير القشيري (١/ ٥٩١)، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٤١٦)، (٢٧/ ٥٦٨)، (٢٠/ ٢٧١)، تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢١/ ٤٧٨).

مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ [هود: ٤٣]

- ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [ق: ٥]

- ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾ [الماعون: ١].. وغيرها من الآيات التي تدل على أنه كان يوجد من ينكر وجود الله ومن يجادل فيه، وقد رد القرآن على تلك الدعاوى ردودًا كثيرة ستتعرض لها أثناء البحث.

فروق اصطلاحية:

البعض – انطلاقًا من منظور شرعي – يخلط بين مصطلحات مثل الإلحاد والشرك والزندقة والشكوكية واللاأدرية، لذلك فإنني أشير إلى أن المراد من موضوع البحث هو هذا المذهب أو التيار المعروف اصطلاحًا باسم الإلحاد، وإن كان كل واحد من هذه الاصطلاحات أو المذاهب يلتقي معه بشكل أو بآخر، ولأن من مهمات البحث العلمي تحرير المراد أشير بإيجاز إلى الفرق بينها:

فالشرك (Polytheism) من أشرك بالله أي جعل له شريكًا فهو مشرك، وهو الاعتقاد بوجود آلهة متعددة.[1]

وأما الزندقة (Heresy) فهو لفظ عام في معناه المستعمل؛ استعمل أولًا للدلالة على عدم الإيمان بالآخرة وبالربوبية[2]، وقد أطلق الزنادقة على "المانوية وكان المزدكية يسمون بذلك (ومزدك) هو الذي ظهر في أيام قباذ وزعم أن

١ – انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي (١/ ٧٠٠)، Thomas Mautner: (The Penguin Dictionary Of Philosophy) p. 432

٢ – انظر: العين (٥/ ٢٥٥)، تهذيب اللغة (٩/ ٢٩٧)

الأموال وَالْحُرَمَ مشتركة وأظهر كتابًا سماه زندا وهو كتاب المجوسي الذي جاء به زرادشت الذي يزعمون أنه نبي فنسب أصحاب مزدك إلى زندا وعربت الكلمة فقيل زنديق."[1] ثم عمم استعمال الكلمة وأصبحت تطلق على الكافر والملحد والمنكر لأصل من أصول الدين.

والشكوكية أو المذهب الشكي (Skepticism) هو الاعتقاد بأنه لا يوجد شيء معلوم على وجه اليقين – وعلى أحسن الأحوال – يمكن فقط وجود بعض الآراء الشخصية المحتملة التحقق[2]،والعقائد والمسلمات أحد تلك الأشياء التي تدخل في نطاق المعلوم غير اليقيني عندهم.

وأما اللاأدرية (Agnosticism) فهي عند القدماء تطلق على فرقة سوفسطائية تقول بالتوقف في وجود كل شيء وعلمه. وتطلق عند المحدثين على إنكار قيمة العقل وقدرته على المعرفة، أو على إنكار معرفة المطلق، أو على القول ببطلان علم ما بعد الطبيعة، فإذا عرضت على أحد اللاأدريين مسألة من مسائل هذا العلم لم يتكلم عليها بنفي أو إثبات، بل يتوقف عن الحكم فيها لاعتقاده أنها لا تقبل الحل.[3]

ونحن إذ نتحدث عن الإلحاد في العالم الاسلامي لا نستطيع أن ننكر وجوده بمعناه الاصطلاحي وهو إنكار وجود إله منذ بدء الدعوة.

---

١ – المغرب في ترتيب المعرب (ص: ٢١١)

٢ – Thomas Mautner: (The Penguin Dictionary Of Philosophy) p.502

٣ – انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي (٢/٢٥٨)

الإلحاد في العالم الإسلامي

بعد انتشار الإلحاد المعاصر، صار يتردد في أذهان كثير من المسلمين سؤالان مهمان: هل بالفعل يوجد في فكرنا الإسلامي ما يسمى بالإلحاد، أو أن مثله مثل أي ظاهرة غربية يتأثر العالم الإسلامي بصداها نتيجة لوسائل التواصل الحديثة؟ وهل وجد في تاريخ الفكر الإسلامي مواقف فكرية يمكن أن تصنف "كملحدة"، أم أن العقلية الإسلامية عقلية مفطورة على التدين؟

وقد سمعت ادعاء من بعض الأمهات والآباء - الذين يحملون روح الأمل والتفاؤل لأبنائهم - بل ومن بعض العلماء الذين يحملون نفس الروح تقريبا - أن العالم الإسلامي لا يعرف الإلحاد، وأن الإلحاد لا يعدو كونه ظاهرة غربية نشأت نتيجة لطغيان المادة وإهمال البعد الغيبي للوجود. في بداية الأمر كنت أتعجب من هذه الدعوى وتساءلت: كيف ينكر هؤلاء انتقال هذه الظاهرة وتلك الأفكار من قارة إلى أخرى وهم يعلمون جيدا أنه بإمكان المصري مثلًا أن يسمع دعوى آخر أمريكي أثناء تفوهه بتلك الدعوى حتى قبل تدوينها؟ وبماذا يواجهون تلك الإحصائيات السنوية بل والشهرية عن نسب الملحدين في المجتمعات الإسلامية؟

لكن ما يزيل هذا العجب ويساعد في الإجابة عن الأسئلة السابقة ما يسمى في التراث الإسلامي بالاتجاه الفطري في الاستدلال على وجود الله، أو دليل الفطرة، ومفاده: أن معرفة الإنسان بأن له خالقًا شيء مغروس في فطرته، ولا يحتاج صاحب الفطرة السليمة إلى دليل على اعتقاد أن له إلهًا خالقًا؛ ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ

ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ [إبراهيم: ١٠]، بل كل ما يحتاجه هو أن يُنبَه - بسبب انشغاله- على ذلك بلفت الانتباه إلى الكون وأن كل شيء فيه محتاج إلى فاعل ومدبر. يقول ابن تيمية (٧٢٨هـ): " فكل إنسان في قلبه معرفة بربه.. كما يعرف أنه مخلوق والمخلوق يستلزم الخالق ويدل عليه.. وأن الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة "[١]

فليست العقلية الإسلامية فقط هي المفطورة على التدين، بل العقلية الإنسانية كلها، يقول د. هوستن سميث[٢] (Huston Smith): "لا يمكن للوجود الدنيوي (الأرضي)، بسبب محدوديته وتناهيه، أن يشبع قلب الإنسان بشكل كامل. هناك في فطرة الإنسان توق وتطلع نحو الأكثر. ولا يمكن لعالم الممارسات الحياتية اليومية أن يشبع هذا التطلع. هذا التطلع إلى ما هو أبعد مما يتيحه العالم الدنيوي، يوحي بقوة، بوجود شيء تحاول الحياة أن تصل إليه، تمامًا مثل ما تشير أجنحة العصافير لحقيقة وجود الهواء، تنحني أزهار عباد الشمس نحو الضياء لأن الضياء موجود، ويبحث الناس عن الطعام لأن الطعام موجود. قد يجوع بعض الأفراد، ولكن أجسامهم لم تكن لتمر بإحساس الجوع لو لم يكن في الوجود طعام يلبي هذا الإحساس. إن الحقيقة التي تهيج شوق الإنسان إليها وتشبع روحه وتملؤها هي: الله، أيًا كان اسمه الذي تسميه به"[٣]

---

١ - انظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٢٨)

٢ - هوستن سميث (Huston Smith): أستاذ الفلسفة وعلم الأديان في عدة جامعات أمريكية و مؤلف كتاب: أديان العالم الذي بيع منه أكثر من مليوني نسخة حول العالم، ولا يزال يحقق شهرة كبيرة في مجال مقارنة الأديان. wikipedia.org

٣ - (لماذا الدين ضرورة حتمية - مصير الروح الإنسانية في عصر الإلحاد) تعريب وحواشي: سعد رستم ص ١٠-١١

وتلك هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها والميثاق الذي أخذه الله على بني آدم حينما أشهدهم على أنفسهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وقد أقر هذا الاتجاه بعض المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآية كمقاتل بن سليمان البلخي[١] (ت ١٥٠هـ) و الزمخشري[٢] (ت ٥٣٨هـ) و القرطبي[٣] (ت ٦٧١هـ) والنسفي[٤] (ت ٧١٠ هـ)، ويذهب إلى ذلك أيضًا "بعض المتكلمين كالماتريدي أبي منصور.. والشهرستاني الذي يفضل شاهد الفطرة الذي يتمثل في إحساس كل عبد بالافتقار إلى خالقه على أدلة سائر المتكلمين، والإمام الغزالي في بعض كتبه، والكرامية، وابن تيمية، وكثير من الصوفية"[٥]

إذن فكل إنسان مغروس في فطرته أن له إلهًا؛ لذلك نجد في تاريخ البشرية أن البحث عن الإله هو أحد المطالب الإنسانية، بصرف النظر عن صحة النتائج المترتبة على ذلك، لكنه لا يستطيع بآلياته المحدودة أن يتوصل إلى معرفة حقيقة هذا الإله، وكيف يتعامل معه، فيرسل الله الرسل ليبينوا للناس ما خفي عليهم و يرشدونهم إلى طريق الهداية والنجاة.

---

١ – انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤١٣)

٢ – انظر: تفسير الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٢٠)

٣ – انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣١٤)

٤ – انظر: تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٦١٧)

٥ – حسن محمود الشافعي: لمحات من الفكر الكلامي ص ١٦–١٧

لكن تلك الفِطَر معرضة للتكدير والانحراف عن الصواب، وربما لا يحصل للإنسان من التوازن الذاتي والنفسي القدر الذي يمكّنه من الإصغاء إلى فطرته فتدفعه ثقته في المحسوسات إلى تأليهها، أو إنكار ما ورائها، وأحيانًا تدفعه عدم ثقته بها إلى إنكارها وغيرها، ونماذج ذلك في التاريخ الفكري والإنساني كثيرة ومتنوعة، ولذلك كانت جهود المتكلمين منصبة بشكل أساسي على معالجة تلك الانحرافات الفكرية بكل أنواعها معتمدين على العقل والمنطق مسترشدين بالقرآن والهدي النبوي، ومن انتقض اعتمادهم على قواعد العقل في مثل هذا المطلب المهم وهو وجود الله ربما لا يعي أبعاد القضية محل البحث.

نعم شهد التاريخ الإسلامي أشكالًا من الإلحاد، وإلا لما وجدت الطرق المتعددة لإثبات وجود الله ،إما بالبرهان أو بالتنبيه، لدى المتكلمين وغيرهم. وقد ألف الدكتور عبد الرحمن بدوي كتابًا بعنوان: تاريخ الإلحاد في الإسلام وضع فيه خطًا لمسيرة هذا النوع من التفكير منذ بواكيره الأولى حتى العصر الحديث وذكر العديد من النماذج التي اشتهرت بذلك في التاريخ الإسلامي – أمثال أبي العتاهية (ت ٢١٣هـ) وابن الراوندي (ت حوالي ٢٥٠ هـ) و محمد بن زكريا الرازي (٣١١ ه) وغيرهم – ورتب الجهود المبذولة في الرد عليهم من قبل العلماء المسلمين.

إلا أننا اليوم وفي عصر ما بعد الحداثة نجد أنه لازال باستطاعتنا أن نفرق بين الإلحاد في الشرق والإلحاد في الغرب فإنه فضلًا عن تفاوت النسب والأعداد[1]

---

١ – بسبب تعدد مفاهيم الإلحاد يصعب معرفة التقديرات الدقيقة عن الأعداد الحالية للملحدين وقد أجريت عدة استطلاعات عالمية شاملة حول هذا الموضوع أبرزها استطلاع قامت به مؤسسة غالوب الدولية (Ghallup International) سنة ٢٠١٥ حيث شارك في الإستطلاع أكثر من ٦٤,٠٠٠ =

فيما بينهما إلا أن البيئة والتربية تؤثران على الإنسان ولو بشكل غير واضح، ولذلك لا تستنكر على هؤلاء الذين يعتقدون أنه مهما بلغ بشخص عايش الدين، ولو تقليدًا، ونشأ في أسرة متدينة وبيئة لازال للدين فيها مكان وتأثير، من الصعب أن يبعد كثيرًا، وأننا لازال باستطاعتنا أن نتحكم في حركة الإلحاد في بلادنا ونحد من انتشارها، ليس فقط بالدراسات العلمية (الأكاديمية) والأدلة العقلية والكونية، بل أيضًا بالتربية والتزكية والتذكير، تذكير الإنسان بفطرته السليمة (التنبيه بالتعبير المنطقي). ولعل هذا البحث يكون خطوة في تحقيق الهدف المنشود.

أسباب الإلحاد

الإلحاد – كما سبق – ليس تيارًا جديدًا ظهر نتيجة للتقدم العلمي والتطور التكنولوجي في مجال الدراسات المادية والعلمية كما يعتقد البعض، بل هو وسيلة

مشارك، أشار منهم ١١% أنه "ملحد بقناعة" في حين كانت النتيجة سنة ٢٠١٢ في استطلاع سابق ١٣% من أفراد العينة عرفوا عن أنفسهم أنهم "ملحدين بقناعة" وبحسب مسح من قبل هيئة الإذاعة البريطانية، في عام ٢٠٠٤، وجد أن نسبة الملحدين كانت حوالي ٨% من سكان العالم.

ووفقًا لدراسات أخرى فإن معدلات الإلحاد هي الأعلى في أوروبا وشرق آسيا: ٤٠% في فرنسا، و٣٩% في بريطانيا، و٣٤% في السويد، و٢٩% في النرويج، و١٥% في ألمانيا، و٢٥% في هولندا، و١٢% في النمسا، أجابوا أنهم لا يؤمنون بأي أرواح، آلهة أو قوة خارقة، ونسب أعلى لمن عبروا عن إيمانهم بوجود قوة روحية أو قوة ما، وهؤلاء يطلق عليهم لادينيين أو لا أدريين. في شرق آسيا، ٦١% في الصين، و٤٧% في كوريا الجنوبية بينما اليابان حالة معقدة إذ يتبنى الفرد أكثر من معتقد في وقت واحد. في أمريكا الشمالية، ١٢% في الولايات المتحدة يعتبرون أنفسهم ملحدين و١٧% لا أدريين و٣٧% يؤمنون بوجود روح ما ولكنهم لا دينيين. و٢٨% في كندا.

انظر: wikipedia.org

GLOBAL INDEX OF RELIGIOSITY AND ATHEISM– 2012 A.D

أما نسبة الإلحاد في العالم العربي فقد سبق الحديث عنها في ص ٢ من هذا البحث.

قديمة للتعبير عن الأنا في مواجهة ما يصعب في الظاهر مواجهته أو فهمه أو نقده، سواء كان ذلك الآخر هو الوجود أو المجتمع أو سلطات رجال الدين أو الضغوط المادية أو التضييقات السياسية، أو حتى آليات الإنسان المحدودة في تفسير هذا الكون وفهم دقائقه..إلخ فيتجه صاحب هذا الفكر إلى رفض هذه الضغوط أو بعضها في صورة رفضه للشكل الثابت لمصدرها جميعا، وما ذلك إلا كتعبير الطفل دون الثالثة عن تمرده على أبويه بسبب عدم الاهتمام أو السيطرة المطلقة برفضه للطعام ،رغم أن الطعام ليس هو ما شكل له هذا الضغط ولكنه هو الشيء الذي باستطاعته رفضه.

إلى جانب ذلك فإننا لا ننكر أن الإلحاد قد يكون نتيجة لإعمال العقل وحده في مواطن تحتاج إلى مساندة من خالق هذا العقل ومُمِده بالهداية، فتصور الإنسان ككائن مستقل معزول عن دائرة النظام الكوني تصور ناقص؛ إذ لو كان كذلك لما كان مخلوقًا، لكن الخالق سبحانه نظم هذا الكون نظمًا متكاملًا، فكما يحتاج الإنسان إلى الهواء والطعام والشراب وغيرها من مقومات البدن والحياة يحتاج أيضًا إلى مقومات ومكملات للعقل وللروح، وأظهر تلك المقومات والمكملات هو الوحي (النبوة) الذي يأخذ بيد الإنسان من أولى درجات سلم الإدراك ليصعد معه لفهم الحقائق وتحقيق مراد الذات العلية.

وهذا البحث عن أسباب الإلحاد ليس فقط لتحديد جوانب المشكلة، ولكن لمساعدة كل واحد من هؤلاء لأن يتفطن لهذه الأسباب أو أحدها ويحاول أن يضع يده على أساس المشكلة ويبدأ في معالجتها بشكل معتدل، إذ ربما يكون شكه أو اتجاهه المعاكس للتدين ظاهرة إيجابية تؤدي به –بعد بحث– إلى قوة إيمان وتخرجه من زمرة الملحدين أو المقلدين. ولا أقصد بذلك تأطير القضية في إطار ديني معين حتى

يتسنى لي أن أحكم عليها من هذه الزاوية المحددة، ولا أقلل من أهمية الموقف وأعتبره موقفًا عاطفيًا غير حكيم، ولن أقوم ببعض الإسقاطات حتى أبتعد بها عن أصل المشكلة كما قد يُظن[١]، ولن أتحدث عن مخططات دولية أو أطراف ثالثة –بالتعبير السائد– لأن هذا سواء سلمت به أم لم أسلم فهو ليس هدفي ولا موضوع بحثي، بل إننا بالفعل نقف أمام مشكلة حقيقية، مشكلة على استعداد لدخول بيوتنا في أي وقت ودون سابق إنذار، إلى جانب أنني حقًا يعنيني الوصول لتفسير سليم لدوافع الإلحاد حتى نضع أيدينا سويًا – ومن داخل التراث الإسلامي – على حلول كلانا يرغب في الوصول إليها طلبًا للحقيقة أو ابتغاء مرضاة الله تعالى. وأرى أن أهم أسباب الإلحاد في العالم الإسلامي في الوقت الحالي تتلخص فيما يلي:

١– فقدان قيمة التعليم: ولا أبالغ إذا قلت أن هذا هو أحد أهم الأسباب ورأسها، وأن الأسباب الأخرى مترتبة عليه. فحينما بدأت ثقافة ربط التعليم بطلب الرزق قلت قيمة التعليم، ولم يعد الطالب يقدِم على العلم بروح المعرفة التي تغذي روحه وعقله وتساعده للوصول لأهدافه وغاياته الإنسانية والكونية، وليست الفردية فقط، بل أصبح التعليم عبئا شاقًا وإجباريًا يحمله الإنسان على عاتقه قرابة ثلث عمره ولا هدف أمامه سوى الحصول على أعلى الدرجات حتى يستطيع فقط أن يعيش كما يتمنى، وغاب البعد المعرفي للتعليم، وأن يطلب العلم من أجل التعلم، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم قال: "إنما بعثت معلمًا"[٢]

١ – انظر: (لماذا يندفع المؤمنون إلى محاولات تفسير إلحاد الملحد) مجلة الملحدين العرب، العدد الثالث عشر ١٢ ديسمبر ٢٠١٢م

٢ – الحديث رواه ابن ماجة في سننه عن بِشْرُ بْنُ هِلَالٍ الصَّوَّافُ عن دَاوُدُ بْنُ الزِّبْرِقَانِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ خُنَيْسٍ، =

وأن أول أمر، بل أول خطاب من رب العالمين لنبيه صلى الله عليه وسلم كان "إقرأ" ولم يكن اسمع أو اتَّبع فتكوَّن لدينا جيل مفرغ معرفيًا، إلا ما ندر، وأصبح من السهل جدًا إخضاعه لأي أيدلوجيات تحت مسمى علمي أو ديني أو سياسي؛ لأنه لم تتكون لديه الثوابت المعرفية والمعايير التي تمكنه من التمييز بين المعارف والمضامين وأن يحافظ على مكانته كإنسان ينتمي إلى ثقافة معينة يستطيع أن يفهمها ويحافظ عليها. وأعتقد أن أي محاولة للإصلاح أو التجديد في أي مجال من المجالات لا تبدأ بإصلاح مسار التعليم وتصحيح موقعه هي ضرب من الدور المحال[1]، وما ذلك إلا كأهل بلدة يتضررون من شجرة تنبت نباتًا خبيثًا وضارًا ويجدون أن الحل هو القضاء على ثمارها بقدر المستطاع دون النظر إلى من يسقيها ويرعاها.

ولا شك أن الحديث عن قيمة التعليم وأهميته للإنسان لا يسعه هذا البحث وليس هو موضوعه، ولا يخفى على طالب الحقيقة مصادره. فغياب مضمون التعليم هو سبب أكثر الانحرافات الحالية سواء كانت انحرافات سلوكية، أم فكرية أم

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجَرِهِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِحَلْقَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، وَالْأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلٌّ عَلَى خَيْرٍ، هَؤُلَاءِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا» فَجَلَسَ مَعَهُمْ. سنن ابن ماجة (١/ ٨٣)

١ – الدور: هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه. ويسمى الدور المصرح كما يتوقف (أ) على (ب) وبالعكس أو بمراتب ويسمى الدور المضمر كما يتوقف (أ) على (ب) و(ب) على (ج) و(ج) على (أ). انظر: التعريفات ص٩٤، المواقف: ص٨٩. والدور الباطل هو الدور السبقي، لأن الدور المعي غير باطل في النسب والإضافات.

مجتمعية، ولم تُنبت شجرته إلا الإلحاد والإرهاب والتخلف الحضاري والمشاكل الاجتماعية.. وغير ذلك، فينبغي قبل وأد الثمار الضارة معالجة جذورها.

٢- الفراغ الديني: تقدم أن كل إنسان بداخله رغبة جِبِلّية لمعرفة الإله والتقرب منه، وهذه الرغبة تشغل جانبًا أساسيًا من جوانب النفس الإنسانية فلو لم يشبعه الإنسان بطريقة سوية وعبر إرشاد إلهي فإما أن يبقى فارغًا أو أن يُشغَل بشيء آخر ليس هذا محله ويظل أيضًا يعاني من فراغه. فالطفل في سن السابعة وما بعدها تجده يشغل نفسه بأسئلة من هذا القبيل، مثل من الذي أوجدني وأوجد أبي، وهل يحبنا ليوجدنا، ولِمَ يوجدنا..إلخ، فتصطدم تلك الرغبة الفطرية للمعرفة بالاستنكار أو الإجابات السطحية ممتزجة بمشاعر الخوف على الطفل من الانحراف العقلي. ثم عندما يذهب للمدرسة ليتعرف على هذا الذي ينشده من مصدر علمي فيجد أوامر كثيرة تبتدأ بعبارة: "افعل" أو عبارة: "لا تفعل"؛ لأن هناك إلهًا سيثيبك إن فعلت ويعاقبك إن لم تفعل، فماذا ينتظر من هذا الذي كل ما يعرفه عن إلهه أنه يثيب ويعاقب، وأن هناك من يراقب أفعاله في كل وقت وحال، ليعد عليه كَمْ فَعَل فيكون من المثابين وكم ترك ليكون من المعاقَبين، ونحن إنما نفعل ذلك بهدف تعليمه وتحصينه من ارتكاب الخطأ. وقد قرأت عبارات يتناولها الملحدون فيما بينهم على مواقع التواصل الاجتماعي مثل: "الدين أقنع الناس بأن هناك رجلًا خفيًا[1] يعيش في السماء ويراقب كل ما تفعل في كل لحظة

---

١ - هذا التعبير مأخوذ من الترجمة العربية لعبارة The Man in the sky الذي يستخدمه الملحدون في الغرب لنفس هذا المعنى.

من كل يوم. وهذا الشخص الخفي لديه لائحة بعشرة أشياء لا يريدك أن تفعلها، وإن فعلت أيًا من تلك العشرة فإن لديه مكانًا خاصًا مليئًا بالنار والدخان والحريق والتعذيب والآلام، وسيرسلك إلى هناك حيث تعيش لتعاني وتحترق وتختنق وتصيح وتصرخ إلى أبد الأبدين وإلى نهاية الزمان... ولكنه يحبك طبعًا!!"[1] وتلك النظرة السلبية للدين دعت الكثيرين من أصحاب دعوة "دين الفطرة"[2] للاعتماد عليها في رفض الدين بشكل عام، فيرون أنه إذا كانت الأديان : "لا تصور لنا الخالق إلا غاضبًا، ناقمًا، متوعدًا، متحيزًا، معاديًا للإنسان، داعيًا إلى الاقتتال والتناحر، مستعدًا على الدوام للقهر والتدمير، مذكرًا بلا ملل بالعذاب وآلامه، متباهيًا بمعاقبة حتى الأبرياء، فلن يميل قلبي إلى مثل هذا الرب المخيف، وسأتردد طويلًا قبل أن أتخلى عن دين الفطرة وأعتنق تعاليمه."[3]

وأنا لا أقلل من قيمة الترغيب والترهيب في الدين الإسلامي، ولكنهما ليسا أول طريق التعليم ولا الدعوى إلى الله ولم يكن ذلك أسلوب النبي صلى

---

١ – ذكر الدكتور عمرو شريف أن هذه العبارة نقلها دوكنز عن جورج كارلين. انظر: (وهم الإلحاد) ص ٢٨٤

وانظر: منتديات الملحدين العرب (موقع إليكتروني)

٢ – المقصود بدعوى دين الفطرة – أو بتعبير أدق: الدين الطبيعي – إذ هو ترجمة لعبارة: (Religion of Nature) هو: عدم الحاجة إلى الدين، والاكتفاء بما أملاه الخالق على قلب كل فرد، أما عبادة الظاهر وحركات الأعضاء، وإن كان لابد أن توحد تفاديًا للتناثر والفوضى، فتلك مسألة نظام وسياسة، ولا تستلزم اي وحي. انظر: جان جاك روسو: دين الفطرة ص ٩٠ –٩١

٣ – جان جاك روسو: دين الفطرة، نقله من الفرنسية إلى العربية: عبد الله العروي ص ٩٩

الله عليه وسلم في تدرجه في الدعوة. ولذلك جعل المتكلمون أول واجب على المكلف هو معرفة الله، معرفته بصفاته وأسمائه وأفعاله وعنايته ولطفه بالخلق.. إلخ. فالأمر يحتاج لإعادة ترتيب ومراعاة لظروف الناس وثقافاتهم وأعمارهم الزمنية والعقلية حتى لا يُكذَّب الله ورسوله، ويُنكَر الدين كله. وقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم ضابطًا لذلك فيما رواه البخاري عن علي موقوفًا: " حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله "[١]. فلابد إذن من ملء هذا الفراغ بما يقتضيه الحال.

٣- الثورة النفسية: حيث يتعرض الكثيرون –خاصة الشباب– لكثير من الضغوط الحياتية التي لا يملكون منها مخرجًا، سواء كانت تلك الضغوط ضغوطًا اقتصادية أم اجتماعية، أو دينية، فيشعر الإنسان وكأنه مسجون داخل أسوار من الضيق ويقارن بين نفسه وبين كثير من أقرانه الذين يعيشون ظروفًا أحسن من ظروفه وأرقى فيشعر باختلال ميزان العدل في الكون، ويعتقد أن المسئول عن كل هذه المعاناة هو هذا الإله فيثور من داخله على هذه الضغوط في صورة الثورة على الدين وعلى الإله بل وعلى الثوابت أحيانًا. وكم من واحد عبَّر بالإلحاد عن رفضه لنوع ما من الضغوط؛ فالدكتور إسماعيل أدهم[٢] – مثلًا– يتحدث عن

١ – صحيح البخاري – كتاب العلم – باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا (١/ ٣٧)

٢ – إسماعيل أحمد إسماعيل إبراهيم أدهم (١٣٢٩ – ١٣٥٩ هـ ١٣ يناير ١٩١١– ١٩٤٠ م) كاتب مصري ولد بالإسكندرية وتعلم بها، ثم أحرز الدكتوراه في العلوم من جامعة موسكو عام ١٩٣١، وعُيِّنَ مدرسًا للرياضيات في جامعة سانت بطرسبرج، ثم انتقل إلى تركيا فكان مدرساً للرياضيات في معهد أتاتورك بأنقرة، وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٦. وهو من الكُتاب المسلمين الذين أعلنوا إلحادهم وكتبوا فيه. وله في ذلك كتيِّب بعنوان "لماذا أنا ملحد"، ترجم لإسماعيل أدهم عدة مؤرخين وباحثين منهم الزركلي في الأعلام،
=

بعض أسباب إلحاده فيقول: "الواقع أنني درجت على تربية دينية لم تكن أقْوَم طريق لغرس العقيدة الدينية في نفسي، فقد كان أبي من المتعصبين للإسلام والمسلمين، وأمي مسيحية بروتستانتية ذات ميل لحرية الفكر والتفكير.. ولكن سوء حظي جعلها تتوفى وأنا في الثانية من سني حياتي.. والواقع أني قد حفظت القرآن وجودته وأنا ابن العاشرة، غير أني خرجت ساخطًا على القرآن لأنه كلفني جهدًا كبيرًا كنت في حاجة إلى صرفه لما هو أحب إلى نفسي، وكان ذلك من أسباب التمهيد لثورة نفسية على الإسلام وتعاليمه.."[١]

فالضغط النفسي وسوء استخدام أساليب التربية الصحيحة إلى جانب فقدان الاستقرار الأسري والنفسي أحيانًا كثيرة تكون أحد أهم الأسباب المؤدية إلى الإلحاد، إذ ينشأ الشخص ساخطًا على كل ما هو مقيد ويحمل سمة السيطرة والفرض بعيدًا عن العمق الروحي. وأكبر شاهد على ذلك موجات الإلحاد التي ظهرت عقب فترات حكم توصف في التاريخ بأنها دينية. ولا يعني أن هذا الشخص انتقل بنفسه إلى حالة يمكن وصفها بالانحراف سواء على المستوى النفسي أم العقدي، ولكن أقصى ما يمكن أن يوصف به أنه في حالة غضب وثورة على القيود. وأعتقد أن هذا النوع يفتقر إلى الاحتواء الروحي – بالتزكية – والنفسي والمجتمعي.

والكيالي في "الراحلون"، وأحمد الهواري في جمعه لمؤلفاته، وجمع هذه التراجم الباحث سليمان الخراشي في كتابه "انتحار إسماعيل أدهم"، مع بعض الإشارات حوله في الصحف والمجلات، وكذلك الردود والمناقشات حول كتابه "لماذا أنا ملحد؟". انظر: ar.wikipedia.org

١ – لماذا أنا ملحد نشر ملحقًا بمجلة الأزهر– عدد جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ ص ٥٢

٤- رفع حدود العقل: يعتقد الملحد أن المؤمن يضع إجابة موحدة عن كل ما يعجز عن تقديم تفسير علمي له وهي: (الله)، أو ما يعبرون عنه (بإله الفجوات). وأهم سؤالين في ذلك هما السؤال عن بدء الخلق و عن استمراريته؛ إذ الإجابة الدينية بأن الله هو الخالق أو الموجِد أو حتى هو العلة الفاعلة لا ترضي عقله الذي يعتقد أن كل مسلماته مادية تابعة لقواعد العلم التجريبي، لاسيما وأنه توجد نظريات تقدم حلولًا علمية لهذين السؤالين المهمين، وما هذا إلا بسبب ثقته المطلقة بالعقل وبما يقدمه له من قوانين تحكم بثبات العالم واستقراره طبقًا لمجموعة من القوانين الطبيعية التي لا تقبل الخرق.

والحقيقة أن فرض مثل هذه الاحتمالات إنما يأتي بسبب الخلط بين مدركات الذات الإنسانية وحدودها؛ فما يُدرَك بالحس لاينفع معه الخيال، وما يُدرَك بالعقل يتعدى ذلك، لكن كيف نُحَكِّم العقل فيما هو خارج حدوده وآلياته؟ فالوثوق في العقل المحض –كما يقول عمانوئيل كنط[١]– له حدوده ووسائله ومن زعم الاستناد على العقل في كل شيء حتى فيما غاب عن محسوساته فهو واهم "إننا في

١ – عمانوئيل كنط: (بالألمانية: Immanuel Kant) فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر (١٧٢٤ – ١٨٠٤). عاش كل حياته في مدينة كونيغسبرغ في مملكة بروسيا. كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة. وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية. كان إيمانويل كانت آخر فلاسفة عصر التنوير الذي بدأ بالمفكرين البريطانيين جون لوك وجورج بيركلي وديفيد هيوم. طرح إيمانويل كانت منظورا جديدا في الفلسفة أثر، ولا زال يؤثر، في الفلسفة الأوروبية حتى الآن أي أن تاثيره امتد منذ القرن الثامن عشر حتى القرن الواحد والعشرين. نشر أعمالا هامة وأساسية عن نظرية المعرفة وأعمالا أخرى متعلقة بالدين وأخرى عن القانون والتاريخ. انظر: /ar.wikipedia.org

الأسطقسيات[١] المجاوزة قد قدرنا المواد وعينا لأي بنيان هي معدَّة، وبأي ارتفاع وأي صلابة. وقد تبين، وعلى الرغم من أننا كنا نفكر ببرج يجب أن يرتفع حتى السماء، أن مؤونة المواد تكفي حقًا إنما فقط من أجل بيت للسكن.. وهكذا كان على ذلك المشروع الجريء أن يفشل جراء نقص في المواد."[٢] فطبيعة العقل تمكنه من البحث عن السبب الأول للوجود فينطلق ساعيًا ومفكرًا ومجربًا ومحللًا لدقائق هذا الكون حتى يصل إلى إجابة لأولى الأسئلة الملحة داخله، وهي (نعم لهذا الكون سبب) سواء وصل إلى ذلك بالمشاهدة أو بالتجربة أو حتى بالتقليد، إلا أنه يقف هناك عند هذه النقطة عاجزًا عن أن يتعداها لأنها ،وببساطة وبدون تعقيد، خارج حدوده، ومن هذه النقطة تدخل شبهة الإلحاد بإقحام العقل في مجال ليس مجاله، فلا يعطي العقل أجوبة مشبعة لمتطلبات الذات المدركة ذات الأبعاد الثلاثة فيسارع الإنسان إثر هذا العجز بالإنكار أو الرفض الكلي، يقول كنط: "ولا أشاطر في الحقيقة ذاك الرأي الذي غالبًا ما عبر عنه أناس أفذاذ وجادون كانوا يشعرون بضعف الأدلة المستعملة حتى الآن، أعني كانوا يأملون للعثور يومًا على أدلة بديهية لقضيتي عقلنا المحض الأساسيتين: ثمة إله، وثمة حياة مقبلة. بل إني متيقن ،على العكس، من أن ذلك لن يحصل البتة؛ إذ من أين سيتخذ العقل أساسًا لمثل هذه المزاعم التأليفية التي لا صلة لها لا بمواضيع التجربة ولا بإمكانها الباطن؟"[٣] ونحن سواء اتفقنا مع نظرته الأساسية للوجود أو اختلفنا فإنه يوضح لهؤلاء (العقليين أو

---

١ – الأسطقس: لفظ يوناني بمعنى الأصل، ويرادفه العنصر، وجمعه: اسطقسات، وهي عند القدماء العناصر الأربعة: الماء، والأرض، والهواء، والنار. سميت اسطقسات لأنها أصول المركبات من المعادن، والنبات، والحيوان. جميل صليبا: المعجم الفلسفي (١/ ٧٨)

٢ – نقد العقل المحض – ترجمة موسى وهبة ص ٤٢٥

٣ – نقد العقل المحض ص ٤٤٢

التجريبين) حدود العقل التي ليس بإمكانه أن يتعداها. حتى أهم النظريات العلمية التي يتخذها الملحدون بديلًا عن الاعتقاد بالإله-كالداروينية القديمة والحديثة[1]- تقف أيضًا عند هذا الحد ولا تتعداه، وإذا كانت تضع إجابات وتصورات، ربما ترضي بعض العقول، عن بداية الخلق وتنوع المخلوقات إلا أنها ليس لديها آلية الإجابة عن سؤال أطفالنا في سنوات نموهم العقلي الأولى وهو: (وماذا قبل؟ ومن صنع كل هذا؟) وداروين نفسه لم يصف نفسه بالملحد[2]، والبعض يثبت بالأدلة أنه أقر بوجود إله[3].

وقد وضع أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ضابطًا محكمًا لخصوصيات الذات المدرِكة تجاه المعلومات النظرية بقوله:" أن ما لا يعلم بالضرورة ينقسم إلى ما

---

١ – الداروينية: مصطلح يطلق على مجموعة حركات و مفاهيم فلسفية و اجتماعية مستمدة من أفكار عالِم البيولوجيا تشارلز داروين، كما تشمل أفكارًا لا تتعلق به أيضًا، و من أهم هذه الأفكار ما يتعلق بالتطور والاصطفاء الطبيعي. يقترن اسم الداروينية بشكل خاص بفكرة التطور عن طريق الاصطفاء الطبيعي. فعمليات التطور التي لا تندرج في إطار الاصطفاء الطبيعي مثل الطفرات الوراثية لا تصنف ضمن الداروينية.

أما الداروينية الجديدة (بالإنجليزية: Neo-Darwinism): مصطلح قام بصياغته العالمين ألفريد راسل والاس وأوغوست ويزمان، وهو الاصطناع الحديث للتطور الدارويني في ضوء الاصطفاء الطبيعي والوراثة المندلية. تم استخدامه لأول مرة في عام ١٨٩٥ لتوضيح أن التطور يحدث منفردا خلال الاصطفاء الطبيعي رافضين نظرية اللاماركية في أن تكون أية آلية أخرى لها دخل بالعملية كوراثة الصفات المكتسبة. استمرت المدرسة التكيفية [Adaptationism] في استخدام المصطلح من ثمانينات القرن التاسع عشر حتى ثلاثينات القرن العشرين، والتي كانت تؤمن بأن الاصطفاء كان السبب الرئيسي وربما الوحيد للتطور، ومنذ ذلك الحين وحتى عام ١٩٤٧ كان يستخدم هذا المصطلح بواسطة أتباع آر. إيه. فيشر التكيفيين.
ar.wikipedia.org

٢ – انظر: عباس محمود العقاد: عقائد المفكرين في القرن العشرين ص ٥٥

٣ – انظر: د. عمرو شريف: خرافة الإلحاد ص ١٨٢

يعلم بدليل العقل دون الشرع، وإلى ما يعلم بالشرع دون العقل، وإلى ما يعلم بهما. أما المعلوم بدليل العقل دون الشرع فهو حدوث العالم، ووجود المحدِث وقدرته وعلمه وإرادته، فإن كل ذلك ما لم يثبت لم يثبت الشرع.. وأما المعلوم بمجرد السمع فتخصيص أحد الجائزين بالوقوع فإن ذلك من موافق العقول، وإنما يعرف من الله تعالى بوحي والهام ونحن نعلم من الوحي إليه بسماع كالحشر والنشر والثواب والعقاب وأمثالهما، وأما المعلوم بهما فكل ما هو واقع في مجال العقل ومتأخر في الرتبة عن إثبات كلام الله تعالى كمسألة الرؤية وانفراد الله تعالى بخلق الحركات والأعراض كلها وما يجري هذا المجرى، "[1] فالخلط بين ما يُدرَك بالعقل ومالا يُدرَك به مدخل وسبب مهم من أسباب الإلحاد.

٥- مشكلة الشر: وهذه فكرة شائعة جدا بين الملحدين، وتعني أنه يوجد تعارض بين فكرة وجود إله حكيم قادر رحيم، وبين ما يوجد في العالم من شرور متنوعة، فإما أن يكون هذا الإله غير عادل وغير حكيم، وإما أن لا يكون موجودًا أصلًا. ويلخص أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) هذه المشكلة في السؤال التالي: "ما معنى كونه تعالى رحيمًا وكونه تعالى أرحم الراحمين، والرحيم لا يرى مبتلى ولا مضرورًا ومعذبًا ومريضًا وهو يقدر على إماطة ما بهم إلا ويبادر إلى إماطته. والرب تعالى قادر على كفاية كل بلية، ودفع كل فقر، وإماطة كل مرض، وإزالة كل ضرر. والدنيا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا، وهو قادر على إزالة جميعها، وتارك عباده ممتحنين بالرزايا والمحن؟"[2]

---

١ – الاقتصاد في الاعتقاد (ص: ١١٥)

٢ – المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص ٤٣

وقد اهتم كثير من المفكرين بحل هذه المشكلة قديمًا وحديثًا، وتفرع عن ذلك ما يعرف بالثيوديسيا (**Theodicy**)[1]، وأشهر من عالج هذه القضية قديمًا أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) وحديثًا آلفين بلانتنغا (**Alvin Plantinga**)[2]

أما أبو حامد الغزالي فقد حل هذه المشكلة ببيان أمرين مهمين هما:

أولًا: أن تقييمنا للخير والشر تقيم نسبي، فما أراه أنا خيرًا قد يراه غيري شرًا وهكذا، ويضرب لذلك مثلًا فيقول: "إن الطفل الصغير قد ترق له أمه فتمنعه عن الحجامة[3]، والأب العاقل يحمله عليها قهرًا. والجاهل يظن أن الرحيم هي الأم دون الأب، والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته، وأن الأم عدو في صورة صديق، والألم القليل إذا كان سببًا للذة الكثيرة لم يكن شرًا بل كان خيرًا. والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة."[4]

١- الثيوديسيا (**Theodicy**): فرع محدد من الثيولوجيا والفلسفة يهتم بحل مشكلة الشر. وهي تحاول حل مشكلة وجود الإله وفي نفس الوقت وجود الشر. انظر: **ar.m.wikipedia.org**

٢ – ألفين كارل بلانتنجا: ولد في ١٥ نوفمبر ١٩٣٢م، فيلسوف تحليلي أمريكي، وأستاذ فخري للفلسفة في جامعة نوتردام (**Notre Dame**) معروف على نطاق واسع بعمله في فلسفة الدين ونظرية المعرفة والميتافيزيقا. له العديد من المؤلفات مثل: الله والعقول الأخرى (١٩٦٧م) و طبيعة الضرورة (١٩٧٤م) ويعتبر أهم فيلسوف مسيحي في العالم على قيد الحياة. انظر: **ar.m.wikipedia.org**

٣ – الحجامة هي العلاج عن طريق مص وتسريب الدم عن طريق استعمال الكاسات. ويكون بطريقتين : الحجامة الرطبة والحجامة الجافة. وهي طريقة طبية قديمة كانت تستخدم لعلاج كثير من الأمراض.
ar.m.wikipedia.org

٤ – المقصد الأسنى ص ٤٣

ثانيًا: أن الشر المحض لا وجود له أصلًا، بل إن كل شر في الوجود يوجد في ضمنه خير خلق الشر من أجله، وأن الشر ليس مرادًا لذاته، بل هو مراد لأجل الخير الذي فيه: "وليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه، وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذي يتضمنه. فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر، وفي ضمنها خير كثير وهو سلامة البدن. ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن، ولكان الشر أعظم. وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر في ضمنه خير. ولكن المراد الأول السابق إلى نظر القاطع السلامة التي هي خير محض. بل لما كان السبيل قطع اليد لأجله، وكانت السلامة مطلوبة لذاتها أولًا، والقطع مطلوبًا لغيره ثانيًا لا لذاته.. فهما داخلان تحت الإرادة، ولكن أحدهما مراد لذاته والأخر مراد لغيره. والمراد لذاته قبل المراد لغيره، ولأجله قال تعالى– في الحديث القدسي– : "رحمتي سبقت غضبي"[1]. فغضبه إرادته للشر، والشر بإرادته، ورحمته إرادته للخير والخير بإرادته. ولكن أراد الخير للخير نفسه، وأراد الشر لا لذاته ولكن لما في ضمنه من الخير. والخير مقتضي بالذات والشر مقتضي لغيره، وكُلّ مقدر، وليس في ذلك ما ينافي الرحمة اصلًا."[2]

وأما بلانتنجا (Plantinga) فقد عمد إلى إبطال هذا المأزق المفتعل[3]

---

١ – الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب (وكان عرشه على الماء) عن أبي اليمان، عن شعيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " إن الله لما قضى الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي" (٩/ ١٢٥)

٢ – المقصد الأسنى ص ٤٣

٣ – مغالطة المأزق المفتعل، أو الإحراج الزائف، يتم ارتكابها عند إيهام الطرف الآخر بأنه لايمكن بناء الحجة إلا على افتراض خيارين لا أكثر، أحدهما واضح البطلان لدفعه إلى تبني الخيار الآخر. وهي تسير على النحو =



الناشئ عن التعارض بين وجود إله ووجود الشر وهو أن العقل إما أن يحكم بوجود إله غير حكيم وغير رحيم وغير خيِّر، وإما أن يلغي فكرة وجود الإله أصلًا، فهو ينفي فكرة أن وجود الشر في العالم تجعل وجود الإله أمرًا بعيد الاحتمال[١] وذلك من خلال قوله بتعارض الإرادة الحرة للإنسان ونسبة الشر إلى الله؛ وهو أننا إذا افترضنا أن الله هو المسئول عن كل أفعال الشر في العالم، وأن الإنسان لا يملك من أمر ذلك شيئًا، فكيف يكون دفاع الإرادة الحرة، وكيف توصف حينئذ بالحرية في اختيار الفعل أو حتى باحتمالية تلك الحرية؛ إذ معنى أن الإنسان حر في فعل شيء ما هو أن له حرية فعله وحرية الامتناع عن الفعل، ولا شك في وقوع الأفعال الموصوفة بالشرية فإذا كانت واقعة من الإنسان بغير إرادته فهو إذن مسلوب الإرادة وليس مختارًا، فالشر الحاصل في العالم من فعل البشر ذوي الإرادة الحرة وليس من فعل الإله.[٢]

دعاوى الملحدين والرد عليها

إن المتتبع لأسئلة الملحدين قديمًا وحديثًا يجدها تتلخص في أربعة دعاوى أساسية بها أو بأحدها تكون إجابتهم عن السؤال الذي طالما يكونون مضطرين للإجابة عليه وهو: لماذا أنت ملحد؟ وكل واحد من هذه الدعاوى يتضمن أسئلة متعددة، وأهم هذه الدعاوى:

التالي: إما أن تختار (أ) أو تختار (ب). لا توجد هناك خيارات أخرى. لا يمكنك أن تختار (ب). إذن، حجة (أ) صحيحة. ar.wikipedia.org

١ – انظر: God Freedom And Evil p. 59

٢ – God Freedom And Evil p. 29 بتصرف

١- عدم الاعتراف بوجود الإله (هل الله موجود؟).

٢- لماذا خلقت؟ (لا غاية تحكم حياتي).

٣- لسنا في حاجة إلى رسل وأنبياء (لست في حاجة إلى من يوجهني).

٤- لماذا اليوم الآخر؟ (لا أتحمل أية مسؤولية عن أفعالي وأحوالي في هذه الحياة)

واتباعًا للمنهج العلمي في المناقشة والرد سأعرض كل دعوى من هذه الدعاوى كما يعرضها أصحابها حتى يمكن مناقشتها والرد عليها بالمنهج نفسه. ولا أرى أن أكتفي بالرد دون عرض الدعوى خشية من التشويش على بعض الأذهان سيما وأن هذه الدعاوى أصبحت أكثر انتشارًا وذيوعًا من الردود عليها، واقتداء بمنهج أئمة المحاورين في الفكر الإسلامي كأبي حامد الغزالي (تـ ٥٠٥) حيث يقول عن منهجه في محاورة بعض الخصوم ورد شبههم:" فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم. وكذلك قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي ولدتها خواطر أهل العصر، لا على المنهاج المعهود من سلفهم. فجمعت تلك الكلمات، ورتبتها ترتيباً محكماً مقارناً للتحقيق، واستوفيت الجواب عنها، حتى أنكر بعض أهل الحق مبالغتي في تقرير حجتهم، فقال: هذا سعي لهم.. وهذا الإنكار من وجه حق، فقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي رحمهما الله تصنيفه في الرد على المعتزلة، فقال الحارث: الرد على البدعة فرض فقال أحمد: نعم، ولكن حكيت شبهتهم أولاً ثم أجبت عنها، فيم تأمن أن طالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه، ولا يلتفت إلى الجواب أو ينظر في الجواب ولا يفهم كنهه؟ وما ذكره أحمد بن حنبل حق، ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر فأما إذا انتشرت، فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية. نعم، ينبغي أن لا يتكلف لهم شبهة لم يتكلفوها، ولم أتكلف أنا ذلك"[1]. واتباعًا لهذا المنهج أعرض هذه الدعاوى والرد عليها:

---

١ - المنقذ من الضلال (ص: ١٥٩- ١٦٠)

الدعوى الأولى

عدم الاعتراف بوجود إله

(هـل الله موجـود؟)

إن العقبة الأولى التي تواجه تفكير الملحد وتصطدم معه هي مسألة: لماذا يجب علي أن أؤمن بوجود إله، وهل الإصرار على تلقيني بأنه موجود كاف للإيمان بوجوده؟ وماذا لو لم أرى ذلك الوجود أو أشعر به، أو حتى أسمع صوته ليخبرني هو عن وجود نفسه؟ ألا يمكن أن يكون كل تصور عن الإله هو مجرد وهم لا حقيقة له في الواقع؟

كل هذه الأسئلة تدور في أذهان الملحدين - قديمًا وحديثًا - وتتردد على ألسنتهم، وليس لنا أبدًا أن نتجاهلها لمجرد أنها تصطدم مع أهم مسلماتنا الدينية وهو الإقرار بوجود إله واحد خالق ومدبر لهذا الكون. كما لا نستطيع أيضًا أن نتعامل مع هذه الأسئلة بمبدأ احتياطية الإيمان[1]، أو رهان باسكال[2] (Pascal's Wager) الذي يتخذه البعض مخرجًا من هذه الإشكاليات العقدية؛ بمعنى أن نؤمن بالله احتياطيًا فربما يكون موجودًا وحينئذ فلن نخسر كثيرًا. ولكن من الواجب

---

١ - انظر:ابن الوزير اليمني: إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد ص ١٩

٢ - رهان باسكال: ينسب إلى بليز باسكال "Blaise Pascal" (١٩ يونيو ١٦٢٣ - ١٩ أغسطس ١٦٦٢)، فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي. ورهان باسكال: هو حجة مبنية على نظرية الاحتمالات وتستخدم للاحتجاج بضرورة الإيمان بوجود الله على الرغم من عدم إمكانية إثبات وجوده أو عدم وجوده عقلياً. بليز باسكال هو من صاغ الحجة. ar.wikipedia.org

أن نأخذ هذه الأسئلة على محمل الجد ونناقشها بموضوعية حتى يظهر الحق جليا ونخرج من دائرة اللجاج التي لا طائل من ورائها سوى إهدار الوقت وتشويش الأذهان.

سبب رفض الملحد الإيمان بالله :

يعتقد كثير من الملحدين أن الإيمان بوجود إله شيء يتوارثه الناس عن آبائهم، ويحاول كل منهم أن يوهم نفسه وغيره بأن ما هو عليه أو ما وجد نفسه عليه هو الحق وتنساق القوة الواهمة وراء ذلك وتحوله إلى مُسَلمَة لا يجب الجدال فيها، ولا حتى الاقتراب منها. ويعتقد آخرون أن المؤمن يضع إجابة موحدة عن كل ما يعجز تقديم تفسير علمي له وهي: (الله) ويحددون بعض الأسئلة التي لو سألها لنفسه أو غيره ممن يؤمنون بوجود إله لتوقف عن ذلك الإيمان، وتتلخص هذه الأسئلة في أربعة أساسية:

١- إذا وجدت نظريات علمية تقدم لي حلولًا علمية لأهم سؤالين يطرأن على عقلي وهما: كيف نشأ العالم، وكيف يستمر، فلِمَ أستعيض عن تلك النظريات العلمية بإجابة لا تجربة ولا دليل علمي عليها وهي أنه يوجد خالق (إله) لا سيما وأن "العلم تتكشف أمامه يومًا بعد يوم تفسيرات لأمور كان الناس يعتبروها من المهام الإلهية، مثلما اكتشفت الجراثيم كمسببات للأمراض المعدية. ومن ثم لا ينبغي كلما ظهرت ثغرة لا يفسرها العلم أن نهرول إلى سدها وملئها بالقول بالقدرة الإلهية."[1] وهذا ما يسمى في اللاهوت الحديث بإله الفجوات

١ - د. عمرو شريف: خرافة الإلحاد ص ١٢١

The God of gaps))

٢- كيف يمكنني أن أحكم بوجود إله يحكم هذا العالم، وفوق هذا أعتقد بأنه خلقه من طين ونفخ فيه فصار عالماً محكمًا بكل تعقيده، وفي نفس الوقت أنا لا أستطيع رؤيته، ولا مناقشته في طريقة الخلق المدهشة هذه؟ ألا يبدو هذا اعتقادًا ساذجًا يستحيل منطقيًا وعلميًا؟[1]

٣- لو كنتُ ولدتُ على دين آخر، مثل الهندوسية، كيف كنتُ سأنظر للإسلام أو المسيحية أو اليهودية؟ أو لو كنتُ ولدتُ في السويد لعائلةٍ تعبدُ إله الشمال "أودان" أو في الهند لعائلةٍ تعبدُ الإله الهندي "شيفا"، فهل كنتُ لأتركَ عبادهم وأتجه للأديان الإبراهيمية التي تعبد الله؟ لماذا؟ أو لو أني مِتُّ اليومَ واستيقظت بعد الموت فرأيت بأنَّ عبادة "كريشنا" هي الحق، فماذا سأفعل؟[2]

٤- وإذا كان ثمة إله موجود، ألا يحق لنا أن نسأل عمن أوجده، ألنا أن نسير بأذهاننا إلى أسباب لا نهاية لها أو أن نتوقف عنده؟ وإذا توقفنا فلماذا؟[3]

يرى الملحدون أن هذه الأسئلة وغيرها تساعدهم بل وتساعد الإنسان المؤمن على إدراك فيما لو كان ما يؤمن بهِ حقيقةً مطلقةً، أم أنهُ مجرد صُدفةٍ كونيةٍ سببها ولادتهُ في زمنٍ معينٍ لعائلة تؤمن بدينٍ معينٍ وتعبدُ إلهًا معينًا، وأن سبب استمراره

١ - انظر: سامح سلامة: (الإلحاد يتحدى) إصدار ثالث موسع ومنقح من بذور الإلحاد ص ١٠ - ١١

٢ - انظر: (أسئلة جريئة مع بسام بغدادي) مجلة الملحدين العرب، العدد الثالث عشر ١٢ ديسمبر ٢٠١٢م ص ٢٣-٢٤

٣ - انظر: المرجع السابق ص ٢٤

على الإيمان هو الخوف فقط، ولا شيء غيره؛ الخوفُ من ردة فعل المجتمع أو العائلة، الخوف من الحياة، الخوف من الموت وإلى آخره من مسببات الخوف، كما يقولون.

وأرى أنه من الواجب الرد على كل قضية من هذه القضايا المطروحة للمناقشة على حدة وبشيء من التفصيل:

الإجابة على السؤال الأول تتضمن عناصر ثلاثة:

أ- هل يمكن للعلم أن يكون بديلًا عن الإله؟

يعتقد البعض أن بوصول العلماء إلى بعض التفسيرات العلمية التي تكشف عن أصل العالم فإن بإمكانهم التوصل إلى إلغاء حقيقة الوجود الإلهي وإرجاع الوجود كله إلى المادة أو اللاشيء. والحقيقة أن اهتمام العلماء الطبيعيين قديما بالسؤال عن المادة الأولى التي نشأ منها العالم كان مقدمًا على اهتمامهم بالسؤال عن السبب أو الفاعل وراء وجوده. وذلك لأنهم كانوا يعملون وفق معطيات مادية مشاهدة وموجودة لديهم ويمكن لهم تحليلها وإخضاعها للتجارب العملية، أما البحث عن الأسباب والعلل الماورائية فقد كان دائمًا مرتبطًا بالدين أو بالتدين الفطري، وهذا الاهتمام الثاني من الطبيعي جدا أن يأتي لاحقا للأول، ولذلك فإن النظريات العلمية الحديثة ،التي قدمت لهؤلاء على أنها بديل عن الدين لأنها تقدم إجابات مقنعة عن بداية الوجود، لا تستطيع أن تقدم إجابات تحمل نفس الصفة عن السبب أو العلة الأولى لهذا الوجود. ولكنها كانت مدخلًا عقليًا لإثبات وجود خالق لهذا العالم؛ انطلاقًا من هذه البداية الطبيعية للعالم التي تحدث عنها الطبيعيون الأوائل كطاليس Thales (٥٤٦ ق.م) و أنكسماندر Anaximander (٥٤٧ق.م) وأنكسامينس Anaximense

(٥٢٤ ق.م) و هرقليطس Heraclitus (٤٧٥ ق.م) وغيرهم.

أما نظريات الانفجار العظيم[١] (Big bang) والتطور أو الداروينية[٢] (Darwinism-Evolution) وغيرها فهي نظريات لا تتحدث إلا عن بدايات مختلفة لهذا العالم؛ فنظرية الانفجار العظيم التي ظهرت في الستينات من القرن الماضي، والتي كانت صادمة للعلماء آنذاك؛ لكونها جاءت تؤكد بداية بعد أن كانوا يعتقدون بعدمها، وكذلك الداروينية التي تحدث فيها داروين – العالِم البيولوجي – عن بداية الحياة على كوكب الأرض، وليس عن الكون؛ في النهاية لا تستطيع أن تجيب عن سؤال وماذا قبل ذلك؟ وليس من المعقول أن تكون الإجابة هي (لا شيء) كما يدعي بعض الملاحدة المعاصرين؛ حيث يستبدل وجود إله بالخلق بالصدفة، وعلم الخالِق وإرادته وقدرته بالانتخاب الطبيعي والطفرات العشوائية – لأن هذا مخالف لقوانين العقل والمنطق، ولما تم التأكد منه حديثًا من وجود الضبط الدقيق في الكون، والتناغم بين المكونات (Fine –Tuning). إلى جانب أن هذه النظريات التي تتحدث عن بداية الخلق لا تتعارض مع حقيقة الوجود الإلهي ولا مع القرآن الكريم، بل إن القرآن الكريم يدعو إلى ذلك ويوجبه على كل إنسان في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ

---

١ – الانفجار العظيم (Big Bang): في علم الكون الفيزيائي، هو النظرية السائدة حول نشأة الكون تعتمد فكرة النظرية أن الكون كان في الماضي في حالة حارة شديدة الكثافة فتمدد، وأن العالم كان يومًا جزءا واحدا عند نشأته. بعض التقديرات الحديثة تُقدّر حدوث تلك اللحظة قبل ١٣.٨ مليار سنة، والذي يُعتبر عمر العالم. وبعد التمدد الأول، بَرُدَ الكون بما يكفي لتكوين جسيمات دون ذرية كالبروتونات والنيترونات والإلكترونات. ورغم تكوّن نويّات ذرية بسيطة خلال الثلاث دقائق التالية للانفجار العظيم، إلا أن الأمر احتاج آلاف السنين قبل تكوّن ذرات متعادلة كهربيًا. انظر: ar.wikipedia.org

٢ – انظر ص ٢٢ من هذا البحث

ٱلْخَلْقَ﴾[العنكبوت: ٢٠]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾[آل عمران: ١٩٠] ولكن لا نستطيع أن نجزم ، ولا أصحاب النظريات أنفسهم، بأن ما توصلوا إليه نتائج نهائية لتصور أصل الوجود، بل هي لا تعدو اجتهادات، واحتمالات ربما يظهر خطؤها فيما بعد.

فتوقع الإنسان أن يصل إلى صورة دقيقة ومفصلة عن كيفية نشأة الكون وبداية وجوده ما هي إلا وهم كبير، لأن الله تعالى يقول: ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] فالعالم بدقائق الصنعة وتفاصيلها ليس إلا صانعها، ولذلك يرحب العلماء بالتفسيرات المختلفة والاعتبارات المتغيرة والمتطورة حول نشأة العالم، ويعقب الفلاسفة على محاولاتهم العقلية لتصور بدء الخلق بأنها اجتهادات حسب الوسع والطاقة. وربما يرحب العلماء بنظرية ما حول تفسير بداية الخلق وبعد فترة يكتشفون بعض الثغرات التي تستدعي إعادة النظر وأحيانًا كثيرة مراجعة النظرية كلها. إذن العلم لا يمكن أن يكون بديلًا عن الله بل هو خطوة في طريق الوصول إليه والاستدلال عليه.

ب- هل بالفعل يوجد إله؟

هذا هو السؤال التالي مباشرة لما سبق، فإذا سُلِم أن العلم يدل على أن لهذا العالم بداية وأصلًا أيا كانت تلك البداية (ماء أو تراب أو هواء أو رتق أو ذرات.. الخ) فكيف يمكن بعد ذلك إثبات وجود إله خالق لهذا العالم؟ ألا يحتمل أن يكون هذا العالم خلق نفسه، أو لم يخلقه أحد وأنه وجد هكذا بمحض المصادفة؟

والحقيقة أن السؤال عن التحقق من وجود الإله ليس قضية مستحدثة

ولا مستنكرة، بل أحيانًا تكون من مقتضيات العقل الناضج وبدايات الإيمان السليم المبني على اليقين، فإذا استراب إنسان من أمر نفسه وبحث بداخله وتعثر عليه الوصول إلى الداعي الفطري ،لأي سبب، فما المانع أن يسأل، وما المانع أن نقيم له الأدلة حتى نأخذ بيده إلى الطريق المستقيم؟ ولقد حفل التراث الفلسفي والكلامي بأدلة متنوعة على وجود الله، وأرى أن أَيْسَر تلك الأدلة وأَقْرَبَها إلى المنهج الحواري العلمي وإلى العقول التي تعتمد بشكل كبير على المشاهدة والاستقراء هو دليل الحدوث مع الإمكان (الاحتمال)[1] الذي استخدمه متأخرو المتكلمين، وأفضل أن أصوغه بشكل ميسر ومسلسل على الوجه التالي:

- لننطلق من العالم المشاهد من أجل صياغة مواد الدليل فنقر أولًا بوجود هذا العالم المنقسم بطبيعته إلى أجسام مادية يمكن أن نراها أو نلمسها أو ندركها بإحدى الحواس الخمس المعروفة، وإلى معان وصفات ليس لها وجود خارجي معين ولكننا نعلم وجودها من خلال تلك الأجسام، فنعرف مثلًا أنه يوجد شيء اسمه سعادة أو حب أو بغض أو جوع أو عطش من خلال أشخاص تظهر عليهم هذه الصفات. والنوع الأول يسمى (جوهرًا متحيزًا) والنوع الثاني يسمى (عَرَضًا). إذن فنحن نسلم بوجود عالم مشاهد مكون من جواهر وأعراض.
- ولا يشك عاقل في أن كل ما في العالم من جواهر وأعراض لابد أن يطرأ عليه نوع ما من التغير، وأقله الحركة والسكون، حتى أن ما كان يعتقد من أن بعض المواد ثابتة بذاتياتها وخصائصها الأصلية فقد ثبت بعد ذلك أنها

١ – انظر في ذلك: شرح المواقف (٨/ ٤-٦)، الإمام الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ص ٢٨– ٣٠

تتغير وتتبدل بسبب بعض التفاعلات مع المواد الأخرى؛ فالماء ينقلب بالحرارة هواء، والهواء يتحول بالحرارة إلى نار.. وهكذا بقية العناصر الموجودة في العالم، وذلك يرجع إلى تغير الأعراض الطارئة على تلك الجواهر أو الأجسام، وبما أننا لا نستطيع أن نتصور جسمًا بدون أعراض فلا نستطيع أيضًا أن نتصوره بدون تغير، بناء على أن الأعراض ليست ثابتة؛ بل هي ملازمة للتغير. هذا التغير والاختلاف من حال إلى أخرى يسمى في علم الكلام (حدوث) والأشياء التي يطرأ عليها ذلك تسمى (حوادث). فيثبت إذن أن هذا العالم بجواهره وأعراضه لا يخلو عن الحوادث.

- ثم كيف يتصور أن يكون شيء كل أجزائه حادثة متغيرة ويكون هو غير ذلك؟! ولما كان الشيء لا يوجد ولا يتحقق بدون أجزائه فلابد لكل ما اتصفت أجزاؤه بالحدوث ألا يوصف هو -ككل- بالقدم أو باللانهائية؛ لأنه سيترتب عليه أن يكون الحادث قديمًا، أو اللامتناهي متناهيًا وهذا تناقض محال[1]. فما لا يخلو عن الحوادث لابد أن يكون حادثًا.
- ومن استقراء العالم المشاهد نعلم أنه لا يوجد شيء حادث ومتغير إلا ويوجد سبب مسئول عن هذا التغير أو عن وجود شيء بعد أن لم يكن موجودًا،
- ولذلك اعتبر كثير من المتكلمين أن هذه القضية (كل حادث له سبب) تشهد بها بديهة العقل ولا تحتاج إلى دليل؛ فإن من رأى بناءً رفيعًا حادثًا جزم بأن له بانيًا.[2] لكن حتى لا يُحتَج بالمصادفة ومخالفة بعض الطبائع لهذه المقدمة أقام بعض المتكلمين - من المعتزلة- دليلًا عليها حاصله: أننا اتفقنا

---

١ - توجد أدلة أخرى على ذلك. انظر على سبيل المثال: الإمام الغزالي: (الاقتصاد في الاعتقاد) ص ٢٨- ٣٠

٢ - انظر: شرح المواقف (٨/٤)

على أن هذا العالم حادث، وأنه موجود بعد أن لم يكن. فلو تصورناه قبل وجوده لم نتصوره إلا ممكن الوجود، فلا يمكن أن نتصوره مستحيلًا؛ لأنه لو كان كذلك لما وجد أصلًا، إذ المستحيل هو المعدوم الذي لا يقبل الوجود. ولا يمكن أن نتصوره واجبًا؛ لأن الواجب هو الموجود الذي لا يقبل العدم لذاته، فلا يتصور غير موجود أصلًا. فلابد أن يكون حينئذ ممكنًا، وبما أن الممكن هو ما استوى طرفاه أي وجوده وعدمه، فلابد له لكي يوجد أو يعدم من مرجح وسبب يرجح وجوده على عدمه. فكل حادث إذن لابد أن يكون له سبب.

- ولنأتِ إلى المرحلة الأخيرة من هذا الدليل وهي: ما الذي يجعلنا نتأكد أن هذا السبب الذي يفتقر إليه العالم في وجوده هو إله؟ ألا يمكن أن يكون شيئًا أخر؟
- فنقول: إن الاحتمالات العقلية في هذا السبب لا تخرج عن ثلاثة احتمالات:

١- فإما أن يكون السبب أحد أجزاء هذا العالم.

٢- أو هو العالم نفسه بجميع أجزائه.

٣- أو شيئًا خارج هذا العالم.

فلا يصح أن يكون السبب في وجود العالم أحد أجزائه؛ لأننا حكمنا على العالم كله ،بجميع أجزائه، بالافتقار إلى سبب، إلى جانب أن هذا الجزء لو كان هو سبب الوجود لكان متقدمًا باعتباره سبباً ومتأخرًا باعتباره مسببًا وهذا تناقض.

ولا يصح كذلك أن يكون السبب في وجود العالم هو العالم نفسه، لأن الشيء لا يتقدم بالوجود على نفسه.

فلا يبقى إلا الاحتمال الأخير وهو أن خالق هذا العالم وسبب إيجاده خارج عنه، وجوده واجب وليس ممكنًا، وهو متقدم على وجود العالم، مختلف عنه.

- أما المرحلة التي تلي ذلك وهي معرفة هذا السبب على حقيقته، ومعرفة علاقتنا به، والهدف من خلقه العالم، وإلى متى سيستمر، وما المطلوب منا تجاهه.. وغير ذلك فهي خارج حدود العقل، وخارج حدود العالم كله، لأننا أثبتنا أنه خارج هذا العالم ومختلف عنه فكيف له أن يدركه إذن؟

وإذ بواحد فقط يخبرنا أنه هو هذا السبب، وأنه الخالق، ويحدثنا عن أسرار الخلق وتفاصيله، ويرسل رسلًا وكتبًا ومعجزات، ويعلمنا كيف نخاطبه، وكيف نتقرب إليه، وأنه ما خلقنا إلا لأنه يحبنا ويريد بنا خيرًا..الخ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢] فالعاقل يسمع ويتدبر ويتحقق ولا يبادر بالإنكار والجحود.

ج- هل القوانين الكونية حتمية أم احتمالية:

إن النظر في انتظام العالم وفي ظاهر العلاقة المستقرة بين الأسباب والمسببات (العلل والمعلولات) قد يعطي البعض ثقة مطلقة في الأسباب، ربما تصل بالبعض إلى مرحلة تأليه تلك الأسباب (العلل) والنظر إليها على أنها كافية وأسهل من البحث عن وجود إله أو وجود قوة خفية تدبر هذه الأشياء الظاهرة أمام الحس أنها تدبر بعضها بعضًا، ويترجم هذا المعنى السؤال السابق والمردد على ألسنة الملحدين وأذهانهم وهو أن "العلم تتكشف أمامه يومًا بعد يوم تفسيرات لأمور كان الناس يعتبرونها من المهام الإلهية، مثلما اكتشفت الجراثيم كمسببات للأمراض المعدية. ومن ثم لا ينبغي كلما ظهرت ثغرة لا يفسرها العلم أن نهرول إلى سدها وملئها

بالقول بالقدرة الإلهية." فيتصورون الحياة أو الوجود عبارة عن مجموعة من القوانين تحكم كونًا حتميًا: فبمجرد إعداد شكل البداية أو الحالة الابتدائية، فإن القوانين ستحدد ما الذي سيحدث في المستقبل دونما استثناءات أو معجزات، ولن تستطيع الآلهة أن تتدخل في مجريات الكون.[١]

وربما تصل تلك الثقة بالبعض الآخر الذي اجتاز مرحلة التسليم بوجود إله إلى إنكار العناية الإلهية بالكون وما فيه، أو بعبارة أخرى: أن الإله خلق وترك، فقد رأى اينشتاين[٢] (تـــ ١٩٥٥م) أن العلاقات بين الأشياء حتمية صارمة يستحيل عليها التغيير حتى من قبل القدرة الإلهية، وقال عبارته الشهيرة: "إن الإله لا يلعب النرد[٣]" بمعنى أن أفعاله يجب أن تكون طبق قواعد وقوانين محددة معلومة لا تقبل الخرق.

ولتصحيح هذا التصور حفل التراث الإسلامي الفلسفي والكلامي بالبحث في مسألة العلاقة بين الأسباب والمسببات أو بين المقدمات والنتائج: هل هي علاقة

---

١ – انظر: ستيفن هوكنج – ليونارد مولدينوو: التصميم العظيم إجابة عن أسئلة الكون الكبرى ص ٢٠١-٢٠٣

٢ – ألبرت أينشتاين (بالألمانية: Albert Einstein) (١٤ مارس ١٨٧٩ – ١٨ أبريل ١٩٥٥) عالم فيزياء ألماني المولد، سويسري وأمريكي الجنسية، من أبوين يهوديين، وهو يشتهر بـــــ "أبو النسبية" لكونه واضع النظرية النسبية الخاصة والنظرية النسبية العامة الشهيرتين اللتين كانتا اللبنة الأولى للفيزياء النظرية الحديثة، ولقد حاز في عام ١٩٢١ على جائزة نوبل في الفيزياء عن ورقة بحثية عن التأثير الكهروضوئي ضمن ثلاثمائة ورقة علمية أخرى له في تكافؤ المادة والطاقة وميكانيكا الكم وغيرها، وأدت استنتاجاته المبرهنة إلى تفسير العديد من الظواهر العلمية التي فشلت الفيزياء الكلاسيكية في إثباتها. ar.wikipedia.org

٣ – النرد او زَهْرُ النَرْد: هو شكل مكعب يستخدم في الألعاب عندما تكون النتائج المطلوبة عشوائية. وهو (الزهر) في التعبير الشائع.



حتمية وجوبية بمعنى أنه إذا وجد السبب يجب وجوبًا حتميًا (ميكانيكيًا) وجود المسبب ولا دخل للفعل الإلهي في ذلك؟ وبذلك يمكن للإنسان أن يتحكم في الكون ويكتشف النظريات العلمية المختلفة، أو هي علاقة احتمالية عشوائية لا يمكن للإنسان أن يضبطها أو يتحكم فيها لأنها راجعة ومستندة بالكلية إلى الفعل الإلهي، وبالتالي لا يحق لهذا الإنسان أن يعتقد أنه باستطاعته فهم تلك القوانين الكونية ومعرفة علاقاتها وبالتالي لا يستطيع أن يقدم نظريات علمية تخدمه كإنسان يعيش في عالم لا يعلم قوانينه إلا الإله؟

والحقيقة أن الإجابة على هذين السؤالين إجابة بالنفي (لا) لكليهما معًا من غير تناقض وذلك لانفكاك الجهة:

وقد اعتقد البعض أن القول الأول للفلاسفة والثاني للأشاعرة من المتكلمين، لكن الفلسفة الإسلامية وكذلك علم الكلام لم يقل أحدهما لا بالحتمية المحضة (الميكانيكية) ولا بالاحتمالية المحضة (العشوائية) بل فرق كل منهما بين مرتبتين؛ مرتبة الإيجاد (الخلق) ومرتبة الوجود أو التحقق والارتباط الخارجي بين الأشياء (الموجودات): فالفلاسفة المسلمون، انطلاقًا من مبدأهم في الحفاظ على النظرة الكلية لانتظام القانون الطبيعي في العالم، قالوا بالسببية أو الإيجاب، ومعناها: "أن كل سبب يولد النتيجة الطبيعية له بصورة ضرورية، ولا يمكن للنتائج أن تنفصل عن أسبابها."[1]، ولكن تلك الذات الموصوفة بأنها علة لا تتحقق لها العلية إلا بإعداد؛ أي بتوافر شرائط وانتفاء موانع معينة، فالذات المتصفة بالعلية ليست وحدها تحقق ذلك كما يقول ابن سينا (٤٢٨هـــ): "ولم يكن ذلك الوجود وجود العلة، بل

١ – محمد باقر الصدر: فلسفتنا ص ٣٠٥

وجودًا إذا انضاف إليه وجود آخر كان مجموعهما العلة، وكان حينئذ يجب عنه المعلول."[١] إذن هناك علة ومعلول، وهناك إعدادات بمعنى توافر شروط وانتفاء موانع، فهم يقرون بوجود ترابط خارجي بين الأسباب ومسبباتها، أو بين العلل الفاعلية والعلل القابلية، ومع ذلك فهي محتاجة إلى فاعل (موجِد) حقيقي يوجدها ابتداءً ثم يمنحها توافر الأسباب ويدفع عنها الموانع بالتحقق؛ ولذلك نجد ابن سينا مع بيانه تلك الاستعدادات في المعلول، وتأكيد علاقة الوجوب الطبيعي بين الأسباب والمسببات يعقد فصلًا كاملًا من المقالة الثانية من إلهيات الشفاء في بيان تناهي العلل الفاعلية والقابلية، ويرجع الفاعلية الحقيقية في العالم إلى واجب الوجود جل وعلا فيقول: "فأول ما يجب علينا من ذلك أن ندلل على أن العلل من الوجوه كلها[٢] متناهية، وأن في كل طبقة منها مبدأ أول، وأن مبدأ جميعها واحد، وأنه مباين لجميع الموجودات، واجب الوجود وحده، وأن كل موجود فمنه ابتداء وجوده."[٣] إذن هو إيجاب غير ذاتي، بل محكوم بالقدرة والإرادة الإلهيتين ولذلك يمكن لله تعالى خرق تلك العلاقة لا بإبطال فاعلية القوانين وثباتها ولكن بالتغيير في طبيعة الأشياء حتى تخرج عن دائرة التأثير المعين إلى دائرة أخرى ونطاق مختلف لذلك أمر الله تعالى بتغيير طبيعة النار إلى البرد حتى لا تؤثر بالإحراق في إبراهيم عليه السلام، ولا تخرق القوانين الطبيعية المنظمة للكون وفي نفس الوقت تتحقق المعجزة له عليه السلام فقال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. يقول الإمام الغزلي: "إنا نسلم أن النار خُلِقَت خلقة إذا لاقاها قطنتان متماثلتان أحرقتهما ولم

---

١ – إلهيات الشفاء ص ٢٨٣

٢ – أي بجميع أقسامها من فاعلية ومادية وكذا الصورية والغائية.

٣ – إلهيات الشفاء ص ٢٤١

تفرق بينهما إذا تماثلتا في كل وجه، ولكن مع هذا نُجوِّز أن يلقى نبي في النار ولا يحترق إما بتغيير صفة النار، أو بتغيير صفة النبي عليه السلام، فيحدث من الله أو من الملائكة صفة في النار تقصر سخونتها على جسمها بحيث لا تتعداه فتبقى معها سخونتها، وتكون على صورة النار وحقيقتها، ولكن لا تتعدى سخونتها وأثرها، أو يحدث في بدن النبي صفة، لا تخرجه من كونه لحمًا وعظمًا فيدفع أثر النار."[١]

أما قول الأشاعرة بالعادة وبالارتباط الاستعقابي بين الأسباب والمسببات، فلا ينفي النظام الكوني، ولا يخرق القوانين الطبيعية، إنما يؤكدها -كما أثبت ذلك العلم الحديث- فمرادهم من نفي العلية أو السببية في العالم، إنما هو إنكار تأثير شيء في شيء حقيقة وبالذات، فمثلًا ينكرون إحداث النار للاحتراق في الحقيقة، ولا ينكرون الترابط المشاهد بينهما، حيث جرت عادة الكون على أنه إذا وجدت النار وجد الاحتراق. فمحل النزاع هو في الفاعل الحقيقي وليس في مطلق الارتباط وإلا فهو قائم على جميع الأحوال، فالخالق للأفعال ولترابطها واتساقها هو الله تعالى، فمعنى العادة باختصار هو: "انحصار الفاعلية في ذاته تعالى، لا انحصار العلية مطلقًا، وكيف يقول عاقل بعدم احتياج الكل إلى الجزء، وعدم احتياج العَرَض إلى الموضوع؟!"[٢] وذلك بسبب الإيمان بأن العالم محتاج إلى خالقه في إيجاده وفي استمراريته. ثم إنه إذا تحقق الترابط الحتمي الحقيقي بين أثر ومؤثر في عالمنا هذا لصار عالمًا مثاليًا حيث لا مرض ولا كوارث ولا عوارض تطرأ علينا لا نعرف لها أسبابًا.

وأعتقد أن نظرة الأشاعرة لدقة النظام الكوني والاعتقاد أن الخالق سبحانه

---

١ - تهافت الفلاسفة ص ٢١٦

٢ - شرح المواقف (٤/ ١١٢)

خلقه ونظمه بهذه الصورة ليُمَكِّن الإنسان من فهم قوانينه ونظامه حتى يستطيع العيش فيه، وهو على يقين أنه كما هو محتاج إليه تعالى في وجوده، محتاج إليه كذلك في استمراريته، فلا يتكل فقط على الأسباب ويضع بها ثقته الكاملة، بل يضع نصب عينيه دائمًا أن الله هو المؤثر والفاعل الحقيقي لكل شيء، فيترع منه الثقة المطلقة بالأسباب، ويحل محلها ثقة في قدرة الخالق التي لا تتعلق بالمستحيلات. تلك الرؤية المنضبطة للكون مع إعطاء فرصة للاحتمال تفتح المجال واسعًا أمام التطورات العلمية[١]؛ إذ لو تم الضبط المغلق لجميع القوانين الكلية في الكون لانتهت النظريات ووقفت عند حتمية لابلاس[٢] (تـ ١٨٢٧م) وتأكد مقصود أينشتاين من عبارته السابقة "إن الإله لا يلعب النرد"، لكن العكس قد حدث مع نظرية الفيزياء الحديثة

---

١ - بتوضيح مذهب الأشاعرة يتبين خطأ ما اعتقده البعض من أن مذهب العادة عند الأشاعرة كارثة ونظرة تدميرية للعالم وإسراف في تأكيد عجز الذات العارفة مقابل تأكيد القدرة الإلهية (انظر: د. يمنى طريف الخولي: الطبيعيات في علم الكلام ص ٥٨) أو أن علاقات الطبيعة لدى الأشاعرة لا تتجاوز كونها صدفوية اعتباطية، وأنها مجرد علامات لا أكثر. (انظر: يحيى محمد: منهج العلم والفهم الديني ص ١٩٩)

٢ - بيير سيمون لابلاس (٢٣ مارس ١٧٤٩ - ٥ مارس ١٨٢٧)، رياضي وفلكي فرنسي، لأعماله حول تطوّر الرياضيات الفلكيّة فضل يستحقّ الثناء. لخّصَ ووسّعَ أعمال سابقيه في هذا المجال في مؤلّفه المكوّن من خمسة مجلّدات (ميكانيكا الأجرام السماوية (بالفرنسية: Mécanique Céleste) (1799-1825)، هذا العمل الجوهري حوّلَ دراسة الهندسة من الطريقة التقليديّة إلى طريقة تعتمد على التفاضل والتكامل، فاتحاً المجال أمام المزيد من التحدّي. أنشأ معادلة لابلاس، وابتكرَ تحويل لابلاس والذي يُستخدم الآن في كثير من مجالات الرياضيات والفيزياء والهندسة. معامل لابلاس التفاضلي، والذي يستخدم بشكل واسع في الرياضيات التطبيقية، سُمّيَ أيضاً كذلك نسبةً إليه. بدأ بتطوير الفرضية السديمية في نشأة النظام الشمسي وكان أحد الأوائل الذي افترضَ وجود الثقوب السوداء وفكرة الانهيار الجاذبي. يصنّف لابلاس كأحد أعظم العلماء على الإطلاق، يُطلق عليه أحياناً نيوتن فرنسا، وذلك لتملكه لحسّ رياضي عظيم لم يجاريه فيه أحد من معاصريه. حصل على لقب الــ (كونت) للإمبراطورية الفرنسية الأولى عام ١٨٠٦، وتمّ منحه لقب (مركيز) عام ١٨١٧. ar.wikipedia.org

(quantum)[1] "التي أقرت بأن العالم الجسيمي الصغير هو عالم لا يخضع للحتمية الصارمة وأن صفة اللاتحدد فيه هي السائدة. لذلك رد نيلز بور[2] (تـ ١٩٦٢م) على أينشتاين في مقولته السابقة التي كان يرددها كثيرًا، فقال: (توقف عن إخبار الرب بما يجب أن يفعله) .. وبنظر معظم الفيزيائيين إن للكوانتم بنية سببية لكنها ليست حتمية."[3] فالسببية المنفية هي السببية الحتمية (الميكانيكية) التي تقضي بعدم

---

١ – ميكانيكا الكم: هي مجموعة من النظريات الفيزيائية التي ظهرت في القرن العشرين، وذلك لتفسير على مستوى الذرة والجسيمات دون الذرية وقد دمجت بين الخاصية الجسيمية والخاصية الموجية ليظهر مصطلح ازدواجية الموجة –الجسيم، وبهذا تصبح ميكانيكا الكم مسؤولة عن التفسير الفيزيائي على المستوى الذري كما أنها أيضاً تطبق على الميكانيكا الكلاسيكية ولكن لاتظهر تأثيرها على هذا المستوى، لذلك ميكانيكا الكم هي تعميم للفيزياء الكلاسيكية لإمكانية تطبيقها على المستويين الذري والعادي. تسميتها بميكانيكا الكم يعود إلى أهمّيّة الكم في بنائها (وهو مصطلح فيزيائي يستخدم لوصف أصغر كمّيّة من الطاقة يمكن تبادلها بين الجسيمات، ويستخدم للإشارة إلى كميات الطاقة المحددة التي تنبعث بشكل متقطع، وليس بشكل مستمر). كثيرا ما يستخدم مصطلحي فيزياء الكم والنظرية الكمية كمرادفات لميكانيكا الكم. وبعض الكتّاب يستخدمون مصطلح ميكانيكا الكم للإشارة إلى ميكانيكا الكم غير النسبية. ar.wikipedia.org

٢ – نيلس هنريك دافيد بور (بالدانماركية: Niels Henrik David Bohr) (٧ أكتوبر ١٨٨٥ – ١٨ نوفمبر ١٩٦٢) فيزيائي دانماركي كان مسيحيًا ثم أصبح ملحدًا، ولد في كوبنهاغن أسهم بشكل بارز في صياغة نماذج لفهم البنية الذرية إضافة إلى ميكانيكا الكم وخصوصا تفسيره الذي ينادي بقبول الطبيعة الاحتمالية التي يطرحها ميكانيكا الكم، يعرف هذا التفسير بتفسير كوبنهاغن. سُمّيَ على اسمه معهد نيلس بور بكوبنهاغن. كان رئيس لجنة الطاقة الذرية الدنماركية ورئيس معهد كوبنهاغن للعلوم الطبيعية النظرية، حصل على الدكتوراة في الفيزياء عام ١٩١١، ثم سافر إلى كمبريدج حيث أكمل دراسته تحت إشراف العالم طومسون الذي اكتشف الإلكترون، وبعدها انتقل إلى مانشستر ليدرس على يد العالم إرنست رذرفورد مكتشف نواة الذرة، وسرعان ما اهتدى بور إلى نظريته عن بناء الذرة. ففي ١٩١٣ نشر بور بحثًا تحت عنوان: عن تكوين الذرة والجسيمات في المجلة الفلسفية، ويعتبر هذا البحث من العلامات في علم الفيزياء. ar.wikipedia.org

٣ – يمنى محمد: منهج العلم والفهم الديني ص ١٩٨ – ٢٠٠

تخلف المسببات عن أسبابها مطلقًا، أما السببية الاحتمالية التي تترك مجالًا –ولو كان ضئيلًا جدًا– للانفكاك الحتمي فهي مقبولة لدى الطرفين.

أما السؤال الثاني فمفاده: إذا كان الله موجودًا فلماذا لا نستطيع رؤيته؟

السؤال السائد الذي يُطرَح من قبل العديد من الناس وليس فقط الملحدين، بل هو سؤال يطرحه حتى الأطفال في بدايات نضجهم العقلي: وهو أنه لماذا لا أستطيع أن أرى الإله وأتحدث معه مباشرة؟ ثم تطور السؤال قياسًا على المشاهدات من عالم الحس حتى اعتبره بعض الملحدين مدخلًا لرفض فكرة وجود إله؛ لأنه إذا كان موجودًا وهو قادر على خلق هذا العالم بكل دقائقه وعظائمه، ألا يستطيع أن يخلق فينا القدرة على رؤيته، وهذه أيسر كثيرًا من خلق كثير من الأشياء التي نراها في عالمنا المشاهد ونسبها إلى نفس النوع من القدرة، وهي القدرة الإلهية؟

والإجابة على هذه التساؤلات لا تتطلب سوى لفت الانتباه إلى قضايا ثلاث: الإحكام (النظم) الكوني، وتعلق القدرة الإلهية، ثم حكم رؤية الله تعالى.

فبالنظر إلى ما سبق من استقرار القوانين الكونية واتساقها بشكل يُمَكّن الإنسان من الحياة في هذا العالم والتمكن منه، وأنه من الحكمة الإلهية أن خلق الله تعالى الأشياء مرتبطًا بعضها ببعض ارتباطًا جعل البعض يحكم بإيجابه واستمراريته التي لا تقبل الخرق ولا التخلف بأي حال من الأحوال، لأنها لو تخلفت لانقلبت حقائق الأشياء وانتهى الاستقرار الكوني. والإنسان محكوم بحدود معينة لأنه جزء من هذا العالم المقيد بالترتيب المعلوم، فطبقًا لحدوده وآلياته لا يستطيع أن يدرك بحواسه ما ليس بمحسوس، بل وخارج عن حدود العالم المحسوس كلها؛ إذ هو خالقه وسببه، والخالق لا يكون جزءًا من المخلوق – كما تبين من قبل.

أما عن سؤال أليس في مقدور الإله القادر على خلق السماوات والأرض والنفوس والأبدان بكل دقائقها وعظائمها أن يخلق فينا القدرة على رؤيته؟! فإجابته مبنية على تصور معنى القدرة الإلهية وتعلقها؛ فالقدرة الإلهية التي بها خلق هذا العالم المحكم لا تتعلق إلا بالممكنات العقلية؛ فلا تتعلق بالمستحيل لأنها لو تعلقت به وأوجدته وهو في ذاته مستحيلًا لتغيرت حقيقته من مستحيل إلى ممكن وهذا قلب للحقائق وخرق للقوانين والسنن الكونية، ولا يجوز هذا في حق الله تعالى، فالعقل يحكم أن حاسة العين – في هذه الدنيا – لا تدرك إلا ما هو مشاهد محسوس متحيز، وليس من طبيعتها (خلقتها) أن تدرك ما وراء ذلك، ومخالفة ذلك مخالفة للمعقول وقلب للحقائق. فامتناع رؤية الله تعالى بحاسة البصر ليس لذات الله – كما قال أبو حامد الغزالي[1] – بل لأمر خارج عن ذاته، هذا الأمر هو ذواتنا نحن وعلائق عالمنا المادي.

فهل معنى هذا أن رؤية الله تعالى مستحيلة؟ وأننا لن نتمكن أبدًا من رؤية إلهنا؟ وللإجابة عن هذا التساؤل نجد المتكلمين (الأشاعرة على وجه الخصوص) ينظرون إلى هذا الحكم (حكم رؤية الله تعالى) من جهتين؛ الجواز (العقلي) والوقوع (الحصول). فأما من ناحية الجواز العقلي: فالعقل لا يمنع رؤية الله تعالى؛ لأنه موجود، والقاعدة العقلية تحكم أن كل موجود يمكن أن يُرَى فالله تعالى يمكن – عقلًا – أن يُرَى، والرؤية هنا أعم من الرؤية البصرية؛ لأن مطلبها هو الإدراك، فإذا ما تحقق هذا الإدراك بطريق آخر أمكن أيضًا أن يسمى رؤية. والعقل كذلك يحكم أن كل موجود يمكن أن يُرَى حسب مرتبة وجوده، فالمحسوس يُدرَك بالحس وما ليس بمحسوس لا يُدرَك به، هذا في الدنيا أما في الآخرة فالعوالم مختلفة والقوانين

---

١ – انظر: الاقتصاد في الاعتقاد تحقيق د. مصطفى عبد الجواد عمران ط. دار البصائر ص ٢٧٤

تختلف باختلافها، والعقل في الحالتين حاكم بالجواز. واختلاف الإدراك راجع لاختلاف المدركات كما يقول أبو حامد الغزالي:

"اعلم أن المدركات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والأجسام المتلونة والمتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات، وإلى ما لا يدخل كذات الله سبحانه وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها، ومن رأى إنسانا ثم أغمض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر اليها ولكن إذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا يرجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين لأن الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وإنما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فإن صورة المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا، وهو كشخص يرى في وقت الإسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يرى عند تمام الضوء فإنه لاتفارق إحدى الحالتين الأخرى إلا في مزيد الانكشاف فإذا الخيال أول الإدراك والرؤية هي استكمال إدراك الخيال وهو غاية الكشف لا لأنه في العين بل لو خلق الله تعالى هذا الإدراك الكامل المكشوف في الجبهة أو الصدر مثلا استحق أن يسمى رؤية.

واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم أن المعلومات التي لا تتشكل في الخيال أيضا لمعرفتها وإدراكها درجتان إحداهما أولى والثانية استكمال لها وبين الثانية والأولى من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فتسمى الثانية أيضا بالإضافة إلى الأولى مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف، وكما أن سنة الله جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولابد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الإدراك الحاصل مجرد تخيل. فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب

عليها من الصفات البشرية فإنها لا تنتهي إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب لها مانع عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار، ولذلك قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]أي في الدنيا"[1] ولكن إذا أزيلت الحواجز الحسية التي تحول دون رؤية ما ليس من عالم الحس، وطهرت كذلك النفس من كدوراتها تدخل الرؤية في حكم الإمكان وعندئذ يتجلى الله تعالى "تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ماعليه كانكشاف تجلي المرئيات بالإضافة إلى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية. فإذاً الرؤية حق بشرط أن لا تفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فإن ذلك مما يتعالى عنه رب العالمين علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تصور وتخيل وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الانكشاف"[2] فيتحقق للإنسان آنذاك رؤية الله تعالى: " فيعبر عن ذلك بلقاء الله تعالى ومشاهدته أو رؤيته أو إبصاره أو ما شئت من العبارات؛ فلا مشاحة فيها -أي العبارات- بعد إيضاح المعاني."[3]

ويشير الغزالي إلى فائدة لطيفة تساعد النفوس الذكية على إدراك حقيقة رؤية الله تعالى وهي أن رؤيته تعالى في الآخرة إنما تتحقق وتنضبط لمن سعى إلى معرفته في

---

١ – معارج القدس في مدارج معرفه النفس (ص: ١٥٧-١٥٨)

٢ – معارج القدس في مدارج معرفه النفس ص: ١٥٩

٣ – الاقتصاد في الاعتقاد ط دار البصائر ص: ٢٨٤

الدنيا، فإنك إذا لم تعرف شيئًا ولم تسع إلى معرفته كيف تدرك حقيقته، ومن ثم كيف يتسنى لك أن تراه أو تسأل عن تصور عقلك إمكان رؤيته وذلك "لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة، كما تنقلب النواة شجرة والحبة زرعاً ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضاً على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر إذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها."[1] فإذا فهمنا المراد من الرؤية علمنا أن العقل لا يحكم باستحالتها.

هذا بالنسبة للجواز العقلي، أما بالنسبة للوقوع فهي لم تقع في الدنيا لغير النبي محمد صلى الله عليه وسلم[2] – عند الأكثر– ووقوعها في الآخرة معلوم من جهة السمع؛ فالله سبحانه وتعالى يَعِد عبادَه برؤيته في الآخرة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] " فإن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر لوجهه الكريم كما قال جمهور المفسرين"[3] ، وهذا يدل على أنها واقعة في الآخرة لمن وعدهم الله برؤيته.

---

١ – إحياء علوم الدين (٤/ ٣١٣)

٢ – انظر: تحفة المريد على جوهرة التوحيد(٢/٣٦)

٣ – تحفة المريد على جوهرة التوحيد (٢/٣٦)

والسؤال الثالث حاصله : أن من ولد على دين آخر ولم تتح له الفرصة لمعرفة الله هل يكون ملحداً؟ وهل يمكن أن تكون النشأة والوراثة هما السبب الحقيقي وراء التمسك والالتزام بدين معين؟

والإجابة على هذا السؤال ذي الشقين تتضح من خلال مبحثين مهمين من مباحث الاعتقاد تبتدأ بهما غالبًا كتب العقيدة هما:

أولًا: شروط التكليف: فيشترط في المكلف الذي يتوجه إليه الخطاب الشرعي عدة شروط هي:"البلوغ، والعقل، وبلوغ الدعوة، وسلامة الحواس، فالمكلف هو: البالغ العاقل الذي بلغته الدعوة سليم الحواس."[١] ومعنى بلوغ الدعوة: هو بلوغ المكلف دعوة نبي الله بلوغًا صحيحًا واضحًا، ويخرج من هذا الشرط من لم تبلغه الدعوة، أو بلغته بشكل مُحَرَّف ولم يتمكن من التقصي عن حقيقتها ومن السؤال عن أحقيتها لعذر قاطع، ومانع يمتنع معه البحث والسؤال والنظر فهؤلاء تشملهم رحمة الله الواسعة كما قال الإمام الغزالي (تـ ٥٠٥ هـ):"إن أكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان (يعني زمانه) تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى، أعني الذين هم في أقاصي الروم والترك ولم تبلغهم الدعوة"[٢]، وقد وضع الإمام الغزالي ضابطًا لهذه المسألة بتقسيمه نصارى الروم والترك في زمانه إلى من لم تبلغه الدعوة وهو الصنف الأول، ومن هم في حكمهم وهو القسم الثالث، وإلى من بلغتهم الدعوة وهو الصنف الثاني. فإنهم على ثلاثة أصناف:

١- "صنف لم يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم اصلًا فهم

---

١ - تحفة المريد على جوهرة التوحيد (١/ ٦٧)

٢ - فيصل التفرقة ص ٧٥

معذورون."[١] أي لم تبلغهم الدعوة، ولم يعرفوا عنها شيئًا، لأسباب مختلفة؛ اجتماعية أو مكانية أو زمانية أو غيرها. فهؤلاء معذورون بهذ الأسباب. ولا يخفى أن حديثه هنا ليس عمن لا يعرف الإله أو التدين بل عمن عرفهما ولكن لم يعرف الإسلام ورسوله، ذلك لأن الفطر السليمة تتطلب التأليه، أي البحث عن إله وسبب موجِد لهذا العالم والحديث هنا عمن هو على دين آخر بأن كان على اليهودية أو النصرانية ولم يُنشأ له معرفة الإسلام. ولذلك جاء الحديث في كتب العقيدة عن "أهل الفترة" وهم الذين عاشوا بين أزمنة الرسل، و يعاصروا واحدًا منهم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَ يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩]، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥] وهذا الصنف يأتي قياسًا عليهم؛ إذ هـ مشتركون في عدم معرفة الرسول.

٢- "وصنف بلغهم اسمه ونعته وما ظهر عليه من المعجزات، وهم المجاورو لبلاد الإسلام المخالطون لهم، وهم الكفار الملحدون"[٢] يعني بلغهم أ يوجد رسول أخبر أنه رسول من عند الله، وأنه أيد بمعجزات شه الكثيرون بصدقها، ومع ذلك لم يعطوا لأنفسهم الفرصة للتحق والإيمان، بل جحدوا وأنكروا.

٣- "وصنف ثالث بين الدرجتين بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم و

---

١ - السابق ص ٧٥

٢ - فيصل التفرقة ص ٧٥

يبلغهم نعته وصفته، بل سمعوا أيضًا منذ الصبا أن كذابًا مُلَبِّسًا اسمه محمد ادعى النبوة، كما سمع صبيان أن كذابًا يقال له المقفع بعثه الله تحدى بالنبوة كاذبًا، فهؤلاء عندي في أوصافه (يعني هذا الصنف) في معنى الصنف الأول؛ فإنهم مع أنهم لم يسمعوا اسمه[1] سمعوا ضد أوصافه، وهذا لا يحرك داعية النظر في الطلب."[2] فالبلوغ الخاطئ أو المشوّه للدعوة يتساوى مع عدم بلوغها أصلًا؛ لعدم وجود ما يحرك داعية البحث والنظر في كلتا الحالتين. فالعاقل يعلم أنه يعبد إلهًا رحيمًا عادلًا حكيمًا عالمًا بأحوال عباده ما خفي منها وما ظهر، أرسل رسلًا ليبينوا للناس مرادات الله منهم، وهو القائل سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

ثانيًا: إيمان المقلد: وهذه المسألة تُعنَى ببيان عدم كفاية النشأة في التدين، وأن الإنسان المكلف الذي يملك القدرة على البحث والنظر والتقصي عن الأدلة لا ينفعه الإيمان عن تقليد؛ إذ المقلد: هو من يأخذ بقول الغير من غير دليل.[3] وهذا الأخذ بقول الغير قسمه المتكلمون قسمين: الأول: الأخذ بقول الغير من غير بحث مع عدم القدرة على البحث والنظر، أو عدم امتلاك وسائل البحث. فهذا لا شيء

١ – اعتقد أن أصل العبارة: (مع أنهم سمعوا اسمه)؛ لأنه يتحدث عن الصنف الثاني.

٢ – فيصل التفرقة ص ٧٦

٣ – انظر: تحفة المريد على جوهرة التوحيد (١/ ٧٦)

عليه، وتكفيه الفطرة والتقليد وهو غير مطالب بإقامة الأدلة والحجج؛ لأنه لا يملك أدواتها، ولم يستحثه داعي البحث والنظر. أما القسم الثاني: فهو من عنده القدرة على التقصي والبحث والنظر، فيجب عليه أن يبحث ويقيم الأدلة ويسأل، ولا يكون التقليد حينئذ حجة له.[1] ولهذا كان أول واجب على المكلف معرفة الله تعالى، فيجب على كل مكلف إتاحة الفرصة لعقله ولقلبه لهذه المعرفة ولا يكتفي بالتقليد.

ولا شك أن النظر المذكور هنا، الذي يخرج المكلف من التقليد إلى اليقين ليس مقتصرًا على النظر العقلي، بل يعم الطرق الموصلة إلى المعرفة واليقن ؛ فلا يكون النظر العقلي واجبًا إلا على مَنْ لم يتيقن بالمعرفة إلا من خلاله كما يقول الآمدي (تـــ٦٣١هـ): "نحن (يعني جمهور الأشاعرة) إنما نقول بوجوب النظر في حق من لم يحصل له العلم بالله تعالى بغير النظر، وإلا فمن حصلت له المعرفة بالله تعالى بغير النظر فالنظر في حقه غير واجب."[2] فالواجب على المكلف هو تحصيل المعرفة "والتحصيل إنما يكون بسلوك ما به تحصل المعرفة."[3] المهم هو اليقين الناتج عن هذا التحصيل، فبأي طريق توصل إليه تحقق المراد وخرج الإنسان من زمرة التقليد المذموم إلى دائرة الإيمان اليقيني. والقرآن الكريم يدعونا في كثير من الآيات إلى البحث والنظر والتقصي الموصلين إلى اليقين مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠] ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ

---

١ – انظر: المرجع السابق (١/٨٠)،

٢ – أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق د. أحمد محمد المهدي (١/ ١٦٤)

٣ – السابق (١/ ١٤٥)

وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، بل يرشدنا سبحانه وتعالى في آيات كثيرة إلى طرق الاستدلال عليه كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١].

فالنشأة والتقليد إذن غير كافيين في إقامة الحجة ولا في قبول الإيمان، وليسا هما السبب الحقيقي للإيمان "بل الإيمان نور يقذفه الله في قلوب عبيده عطية وهدية من عنده. تارة ببينة من الباطن لا يمكنه (أي المؤمن) التعبير عنها، وتارة بسبب رؤيا في المنام، وتارة بمشاهدة حال رجل متدين وسراية نوره إليه عند صحبته ومجالسته، وتارة بقرينة حال."[١] فالسبل إلى معرفة الله تعالى متعددة، ومن تمكن من أحدها ولم يتأمل فهو مقصر في حق نفسه ومؤاخذ على تقصيره.

وأما السؤال الرابع فملخصه : إذا كان ثمة إله موجود فمن الذي أوجده؟

هذا السؤال وإن كان يتردد على ألسنة الملحدين كمدخل للتشكيك في وجود الله، فلا شك أنه يرد أيضًا على أذهان الكثير منا في فترة الطفولة، ووروده

---

١ – فيصل التفرقة ص ٦٦



على أذهاننا في تلك الفترة ليس معناه أننا نبدأ الطريق في إنكار وجود الله، بل على العكس من ذلك تمامًا فهو بداية الطريق لمعرفة الله؛ حيث إن العقل ينتقل في تلك المرحلة من إدراك العالم المشاهد إلى محاولة إدراك خالق هذا العالم، لكنه يقيس العالمين بمقياس واحد وهو مقياس الحواس التي هي من خصائص هذا العالم المادي لذلك تتعذر عليه الإجابة على السؤال الذي يطرح نفسه آنذاك وهو: إذا كان كل شيء له سبب وموجد أخرجه من العدم إلى الوجود، أو من القوة إلى الفعل، فما السبب والموجد لله خالق هذه الأشياء؟

والإجابة باختصار هي: بيان الفرق بين العالَمَين، وبين الخالق (السبب الأول)، والمخلوق. وبعبارة أخرى بيان الفرق بين الواجب والممكن وبما يتميز كل منهما. وهذا أيضًا مبحث مهم من مباحث علم الكلام الإسلامي: فالموجود إما واجب الوجود بالذات أو ممكن الوجود بالذات، ولكل منهما خواص بها يمتاز عن غيره:

(١). أما الأول وهو واجب الوجود بالذات: فله خواص أهمها:

أ. استغناؤه عن غيره: بمعنى عدم احتياجه، وعدم توقف وجوده على غيره. وهذا هو المعبر عنه بأن الواجب بالذات لا يكون واجبًا بالغير. وهذه الخاصية عامة تستلزم ما يليها من خواص.

ب. أنه لا يكون مركبًا لا ذهنًا ولا خارجًا؛ لأنه لو كان مركبًا من أجزاء لكان محتاجًا إلى تلك الأجزاء، وأجزاء الشيء غيره، وهو مستغن عن الغير.

ج. كون ذاته مقتضية لوجوده اقتضاءً[1] تامًا: بمعنى أن ذاته هي شرط أو سبب وجوده، فمعنى أنه مستغن عن جميع ما عداه يستلزم أنه لا علة لوجوده. بل وجوده عين ذاته وعين ماهيته، فهو موجود واجب بالذات.

د. أنه بذاته متميز عن جميع ما عداه: فلا يحتاج إلى شيء خارج ذاته يميزه عن ما عداه، فهو الواجب الوجود بالذات المتحقق مفهومه في ذات واحدة هي ذاته ليس غير.[2] فهذه هي خواص الواجب التي بها يميزه الذهن عن غيره.

(٢). وأما الثاني وهو ممكن الوجود بالذات: فأهم خواصه:

أ- أنه محتاج إلى سبب: أو بالتعبير الفلسفي "الإمكان محوج إلى السبب"[3]، وفهم احتياجه إلى سبب يتضح من فهم معناه، فإن الممكن: هو ما يتساوى طرفاه؛ بمعنى أن نسبة وجوده وعدمه بالنظر إلى ذاته سواء، فما يرجح أحد الطرفين على الآخر ليس هو ذات الممكن، بل أمر خارج عنه، يخرج به من كونه ممكنًا بالذات إلى كونه واجبًا بالغير إذا ترجح طرف الوجود على طرف العدم، ويخرج من كونه ممكنًا بالذات إلى كونه واجبًا بالغير إذا ترجح

---

١ - ليس معنى الاقتضاء هنا العلية، فالذات مقتضية للوجود وليست علة له؛ وإلا احتاج الوجود الواجب إلى علة، وفرق بين الشرط والعلة.

٢ - انظر: المواقف في علم الكلام ص ٦٨-٧٠ و شرح المواقف (٣/ ١١٠)

٣ - المواقف ص ٧١ ولا فرق هنا لتحقق المقصود من تساوي طرفي الممكن واحتياجه في ترجيح أحدهما على الآخر إلى سبب بين أن يكون المحوج إلى السبب هو الإمكان فقط أو الإمكان مع الحدوث أو الإمكان بشرط الحدوث؛ لأن المراد بيان أن ما استوى طرفاه يحتاج إلى سبب يرجح أحدهما على الآخر.



طرف عدمه على طرف وجوده. وفي الحالتين المرجح ليس ذاته، بل أمر خارج عنه؛ لأنه من حيث هو لا يترجح أحد طرفيه على الآخر، بل نسبته إليهما سواء.

ب- أن الإمكان -وهو استواء الطرفين- لازم لماهية الممكن لا ينفك عنها أبدًا،[1] كشأن كافة المهايا. فلولا أن لكل شيء ماهية لانقلبت حقائق الأشياء، وما تحصل لدينا علم أصلًا.

فالمحتاج إلى سبب هو الممكن بالذات، وهو كل ما سوى الواجب الوجود سبحانه، لأن جزء من ماهية كل منها استواء الطرفين الوجود والعدم والاحتياج إلى من يخرجه من أحدهما إلى الآخر، ويكون واجبًا به، إما واجب الوجود أو واجب العدم. أما الواجب بالذات فلا يحتاج إلى سبب، ولا يسأل عن سببه؛ لأنه من حيث هو مستغن عن السبب، فإذا سئلت عن سببه فكأنك تسأل عن علة تحديد أولى القواعد العقلية وهي ثبات حقائق الأشياء. فالسؤال عن سبب للخالق واجب الوجود بالذات فيه مغالطة[2]. ولهذا السبب يرد السؤال بمن خلق الله على أذهان الصغار، من حيث إنهم يقيسون الوجود الواجب على الوجود الممكن ويخلطون بينهما، لكن بمجرد التنبيه على تمايز المهايا، وتغاير الوجودين ،الواجب والممكن، يهتدي الإنسان إلى إدراك الفرق بينهما، وتتضح له الإجابة عن الصورة الصحيحة للسؤال وهي لماذا لا يحتاج الخالق (واجب الوجود) إلى سبب.

١- انظر: شرح المواقف (٣/ ١٧٣)

٢ - المغالطة: قول مؤلف من قضايا شبيهة بالقطعية أو بالظنية أو بالمشهورة. التعريفات (ص: ٢٢٣)

الدعوى الثانية

لماذا خلقت؟[1]

إن السؤال عن علة خلق الإنسان، والعالم بصفة عامة، هو واحد من أسئلة ثلاثة يكتمل بها تصور الإنسان لحقيقة وجوده، وتتحقق بها النظرة الكلية للكون، وهي الأسئلة عن المبدأ والمعاد والغاية. و السؤال عن الغاية أو عن علة الخلق وسبب وجود الإنسان في هذا الوجود يشغل كثيرًا من الأذهان سيما الشباب، وقد بحثت كثيرًا عن الداع لهذا السؤال، وعن سبب شيوعه وارتباطه بمرحلة الشباب أو النضج العقلي، وهل هو من الأسئلة التي ليس لها إجابة، وهل سئل النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال؟ وإذا كان سئل فما الجواب؟ وإذا لم يسأل فلماذا؟ كل هذه الأسئلة عرضت على ذهني قبل أن أبدأ بالجواب عن هذا السؤال. ولست ممن يرى أن هذا سؤال بلا جواب. أما لماذا لم يسأله الأولون إذا كنا نحن نعتقد أنه على درجة كبيرة من الأهمية، ولماذا كثر على ألسنتنا الآن فأعتقد أن ذلك راجع إلى سببين رئيسين:

الأول: غياب النظرة الكلية للكون ولمكانة الإنسان منه، فلا أجد أكثر الشباب الآن إلا متخبطًا مرتبكًا بين أسئلة جزئية كثيرة لا يقدر على أن يربطها ببعضها، ولا أن يرتب طريقة طلب إجاباتها، فهو يريد أن يفهم الوجود على طريقة: (سؤال وجواب)، وهذه الطريقة قد لا تفيد الإنسان في أمور حياته العادية، فكيف يعتقد أنها تفيده في فهم حقيقته وحقيقة الكون الذي يعيش فيه، بل وفهم رسالته

١- هذا السؤال يحمل دعوى ضمنية مفادها: أنه لا علة من خلق الإنسان في هذا العالم. وبالتالي لا خالق له.

وهدفه في هذا الوجود. فهل إذا أراد أحدنا أن يتعلم – على سبيل المثال – صيانة الحاسب الآلي (الكمبيوتر) هل يكفي أن يجلس مع متخصص جلسة أو جلستين ويسأله عن خواص الجهاز وكيفية التعامل معه حتى يصير مهندسًا أو مبرمجًا؟ أم لابد له من أن يجلس ويتعلم ويفهم طبيعة الجهاز وكل خاصة من خواص كل جزئية فيه نظريًا وعمليًا حتى يستطيع التعامل معه بشكل كلي، ربما يستغرق ذلك أشهرًا وربما سنوات. ألا يستحق وجود الإنسان ومصيره أن يقرأ ويتعلم ويدرك هذا الوجود بشكل كلي يمكنه –على الأقل– من ترتيب أولويات معارفه وجدولة أسئلته، ومن الرضا والفهم كما يقول الحارث المحاسبي (تـ ٢٤٣هـ)[١]: " قلتُ لشيخنا: من أين وقع الاضطرابُ في القلوب، وقد جاءها الضمان من الله عز وجل؟ قال: من وجهين: أحدهما: قِلَّةُ المعرفة بحُسْنِ الظَن، وإلقاء التهم عن الله عز وجل. والوجه الثاني: أنْ يعارضها خوفُ الفَوْت، فتستجيبَ النفسُ للداعي، ويَضْعُفَ اليقينُ، ويَعْدِمَ الصبرُ، فيظهرَ الجَزَعُ. قلتُ: شيءٌ غيرُ هذا؟ قال: نعم، إنّ الله عز وجل وَعَدَ الأرزاق، وضَمِنَ، وغَيَّبَ الأوقات ليختبرَ أهلَ العقول، ولولا ذلك لكان كُلُّ المؤمنين راضين صابرين متوكّلين، لكنّ الله عز وجل أعلمهم أَنَّهُ رازقهم، وحَلَفَ لهم على ذلك، وغيّب عنهم أوقات العطاء، فمن هاهنا عُرِفَ الخَاصُّ من العامِّ، وتفاوت العبادُ في الصبر، والرضا، واليقين، والتوكل، والسكون، فمنهم .. ساكنٌ، ومنهم

---

١ – أبو عبد الله المحاسبي، شيخ الجنيد، وأحد العلماء الزهاد. وسمي المحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه. وقيل: لأنه كانت له حصى يعدها ويحسبها حالة الذكر. عده الأستاذ أبو منصور التميمي في الطبقة الاولى من الشافعية فيمن صحب الشافعي، وقال: إمام المسلمين في الفقه، والأصول، والتصوف، والحديث، والكلام، وكتبه في هذه العلوم أصول من يصنف فيها، وقال أيضا: لو لم يكن في أصحاب الشافعي في الفقه، والكلام، والأصول، والقياس، والزهد، والورع، والمعرفة، إلا الحارث بن أسد المحاسبي لكان مغبرا في وجوه مخالفيه، والحمد لله على ذلك.انظر: طبقات الفقهاء الشافعية (١/ ٤٣٨)

متحرك، ومنهم راض، ومنهم ساخط، ومنهم جَزِعٌ، فعلى قَدْرِ ما تفاوتوا في المعرفة– تفاوتوا في اليقين، وعلى قَدْرِ ما تفاوتوا في اليقين– تفاوتوا في السكون والرضا والصبر والتوكل."[1]

فالسابقون كانت النظرة الكلية (الشاملة) للكون، ومعرفة وضع الإنسان به متحققة لديهم، شغلوا أنفسهم بفهمها أولًا؛ لأن المرتبة الأولى من مراتب الإدراك السليم أن يعرف الإنسان ذاته، ثم يبذل جهده العقلي في معرفة سبب ذاته فيبدأ طريق البحث عن الخالق الموجد فيستدل على وجوده إلى أن يتيقن من ذلك، عن طريق الرسل المبلغين الذي يتيقن أيضًا أنهم رسل هذا الإله الذي استدل على وجوده وصّدق إخباره عن نفسه بأنه هو الله، ووثق بذلك الإخبار وتيقن منه، ففهم عن الله من غير شك أنه غيرنا؛ فهو خالق ونحن مخلوقون، قوانينا الحياتية المخلوقة لا تسري عليه، وصفات الخالق الواحد لا تضاهي صفاتنا ولا وجوده مثل وجودنا، فنحن جزء من هذا العالم المخلوق، وهو الخالق له جميعه. ثم يبدأ بعد ذلك في أن يعرف مِن الإله ما المطلوب منه ليحققه، وهو سبحانه لم يتركنا مع كل ذلك نعمل كعبيد البشر على غير علم وبطاعة عمياء، بل وضح لنا أعمالنا، وسخر لنا الكون كله حتى نتمكن من أداء مهامنا في هذه المرتبة الوجودية، وفوق ذلك أخبرنا سبحانه أنه يحبنا، وطلب منا أن نعبده على حب ووعدنا بالنعيم والقرب، فهو ناظر إلى القلوب التي تعبده، وليس إلى الآلات، لأنها في الأصل عايدة مسخرة لا دخل لنا بها إلا تحقيق غايات أفعالنا. فترتيب العقل وتنسيق الفهم ليس فقط من الإيمان بل من الإنسانية ومن معرفة الإنسان بحقيقة ذاته وهدفه. فأعتقد أن ترتيب أولويات

١ – القصد إلى الله نقلًا عن: تفسير الثعالبي – الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٣٠٢)

شغل أذهاننا أولى وأجدى بكثير من بذل العمر في عدم الترتيب والانسياق وراء كل داع. فكما أن الإنسان لا يهدأ له بال إلا بضمان سبل حياته من مأكل ومسكن ومورد رزق، ويعرف جيدًا أولوياته وطرق تحصيلها، ويقسم عمره على ذلك، ينبغي أن يتيقظ إلى هدفه الأصلي ويعمل عليه ويرتب له.

الثاني: الخلط بين طرق الاستدلال: وهو مترتب على سابقه، حيث إن لكل مرحلة من مراحل إدراك الحقائق لها طريق من طرق الاستدلال، فإذا رتبت المراحل ستترتب طرق الاستدلال، والعكس صحيح، وقد وضع الإمام الغزالي ضابطًا لطرق الاستدلال وعدم الخلط بينها، ذكرته سابقًا ولا أرى مانعًا من تكرار ذكره هاهنا لأهميته وهو: "أن ما لا يعلم بالضرورة ينقسم إلى ما يعلم بدليل العقل دون الشرع، وإلى ما يعلم بالشرع دون العقل، وإلى ما يعلم بهما. أما المعلوم بدليل العقل دون الشرع فهو حدوث العالم ووجود المحدث وقدرته وعلمه وإرادته، فإن كل ذلك ما لم يثبت الشرع.. وأما المعلوم بمجرد السمع فتخصيص أحد الجائزين بالوقوع فإن ذلك من موافق العقول، وإنما يعرف من الله تعالى بوحي والهام ونحن نعلم من الوحي إليه بسماع كالحشر والنشر والثواب والعقاب وأمثالهما، وأما المعلوم بهما فكل ما هو واقع في مجال العقل ومتأخر في الرتبة عن إثبات كلام الله تعالى كمسألة الرؤية وانفراد الله تعالى بخلق الحركات والأعراض كلها وما يجري هذا المجرى"[1] فإذا بدأ الإنسان طريق البحث عن الحقيقة عليه أن يرتب أولوياته ويفرق بين طرق الاستدلال؛ فبعض المطالب يعرف بالعقل وحده، وبعضها لا يعرف إلا من الخالق؛ إذ لا يمكن لنا معرفتها إلا منه، والبعض الآخر نحتاج فيه إلى النقل

١ – الاقتصاد في الاعتقاد ص ١١٥

والعقل معًا. والخلط بين هذه الطرق لا يؤدي إلا إلى إهدار الوقت وزيادة التخبط والحيرة.

ولذلك فالإجابة عن السؤال عن الغاية من الخلق تكون من منطلقين مختلفين:

الأول: منطلق التسليم بوجود إله خالق لهذا الكون، ويأتي السؤال في هذه المرتبة لمعرفة مراد الله وحكمته من الخلق حتى يستطيع الإنسان من تحقيقه، وعدم الحيد عن الهدف أو الغاية التي وجد من أجلها.

الثاني: رفض التسليم بوجود إله اعتمادا على فكرة أن لا علة غائية للوجود، والسؤال في هذه المرتبة يكون عن الغاية المجهولة، أو عن اللاغاية، ويعتقد أصحاب هذا المنطلق أن هذا السؤال من الأسئلة التي لا إجابة لها، وأنه من أصعب الأسئلة التي يمكن أن تواجه بها عقيدة أي مؤمن بوجود إله[1]، فيبدأ السؤال بلماذا خلقك إلهك الذي تؤمن به؟ هل لأنه محتاج إليك؟ أو لأنك محتاج إليه، وفي وجودك مصلحة لك؟ وينتهي إلى تقرير أنه إذا وجد إله يفعل بلا غاية، ويعذب وينعم من غير حكمة، ولم يعطك جوابًا كافيا عن سبب وجودك، فبأي عقل وبأي منطق تسلم به وتعبده؟!

والإجابة على هذا السؤال تكون ببيان مسائل ثلاث:

١- إذا كان لكل فعل غاية في عالمنا المشاهد الحادث، فهل من الممكن أن نستصحب هذا الحكم على الخالق سبحانه وتعالى؟ بمعنى هل باستطاعتنا

---

١ - انظر: عبد الله القصيمي: يا كل العالم لماذا أتيت ص ٨

أن نقول: إن أفعال الله معللة بالأغراض، وأنه يفعل كذا من أجل كذا؟ ومن ثم نستطيع الإجابة عن سؤال: لماذا خُلِقنا؟ أو أن الضوابط والقوانين التي تحكم العالم المشاهد لا تنطبق بالكلية على خالق هذا العالم، ومن ثم لا يسأل عن أفعال الله بِلِمَ؟

وأشهر المذاهب في ذلك اثنان أحدهما قائم على التتريه مع التسليم، والآخر قائم على التتريه مع التعقل:

الأول: هو مذهب الأشاعرة الذين يذهبون إلى أن أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض؛ فلا يجوز السؤال عن أصل فعله تعالى بلِمَ، لأنه تعالى فاعل بالذات، وما بالذات لا يكون معلَلًا بشيء، وذكروا لذلك عدة أسباب أهمها:

أ. لأنه لا يجب عليه شيء مما يجب علينا من لزوم الغاية عن الفعل، وكذلك لا يقبح منه شيء مما يقبح لدينا من خلو الأفعال عن الغايات، بل لا يجب عليه شيء ولا يقبح منه شيء على الإطلاق.[1]

ب. أنه لو كان فعله تعالى لغرض لكان ناقصًا لذاته مستكملًا بتحصيل ذلك الغرض؛ لأنه لا يصلح غرضًا للفاعل إلا ما هو أصلح له من عدمه، فيكون مستكملًا بوجوده ناقصًا بدونه.[2] وهذا لا يليق بالإله الذي سلمنا بوجوده وتتريهه،"بل هو الغني المطلق، وله الكمال الأتم والجمال الأعظم، وهو مبدأ الكمالات ومنتهى المطالب والأمنيات، وإليه الافتقار في جميع الحالات، وليس له في

١ – شرح المواقف (٨/ ٢٢٤) بتصرف

٢ – انظر: شرح المواقف (٨/ ٢٢٤)

فعله مطلوب يكمله، ولا له قصد إلى ثناء أو مدح يحصله."[1]

ج. " أن من فعل فعلا لغرض كان عاجزا عن تحصيل ذلك الغرض إلا بواسطة ذلك الفعل والعجز على الله تعالى محال."[2] وذلك لأن جميع الأشياء (الموجودة) مستندة إلى الله تعالى ابتداءً، ونسبتها إليه تعالى سواء، ليس هناك فعل أولى به لذاته من غيره. ومعلوم أن الغرض أمر خارج عن الفعل يحصل ويتحقق تبعًا للفعل وبتوسطه، أي يكون للفعل مدخل في وجوده، فلا يتحقق إلا به[3]، وهذا مما لا يتصور في أفعاله تعالى، المؤثر والفاعل الحقيقي لكل شيء في الوجود. فلا يستند أثر إلى فعل، ولا فعل إلى فعل، بل الكل مستند في وجوده إلى الله تعالى ابتداءً.

ورأي الأشاعرة هذا مبني على التسليم المطلق في هذه المرحلة الاعتقادية، بحيث سبق للإنسان أن تحقق من الوجود الإلهي، وتمكن من معرفة مرتبته الوجودية، ومن معرفة أن الذات الإلهية تخالف ذواتنا، فأفعاله تعالى ليست معللة بالأغراض، ولا يسأل عنها بلم ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فوضح بذلك الفرق بين أفعاله وأفعالنا.

ومع ذلك فهو سبحانه لم يتركنا بدون إخبارنا بالحكمة من وجودنا، وهذا الأمر (المسمى بالحكمة) لم ينكره الأشاعرة في حق الله تعالى؛

١ – سيف الدين الآمدي: غاية المرام في علم الكلام ص ٢٢٦

٢ – فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢/ ٣٧٩)

٣ – شرح المواقف (٨/ ٢٢٥) بتصرف

فالحكمة عندهم تطلق على معنيين: "أحدهما الإحاطة المجردة بنظم الأمور ومعانيها الدقيقة والجليلة والحكم عليها بأنها كيف ينبغي أن تكون حتى تتم منها الغاية المطلوبة بها، والثاني أن تنضاف إليه القدرة على إيجاد الترتيب والنظام وإتقانه وإحكامه، فيقال حكيم من الحكمة، وهو نوع من العلم، ويقال حكيم من الإحكام وهو نوع من الفعل"[١] فالحكمة هي معنى من معاني الإتقان والإحكام ووقوع الفعل على وفق العلم، فليست الحكمة منفصلة عن الفعل الإلهي.[٢] ووجه الإحكام والإتقان قد لا يستطيع الإنسان إدراكه في جميع الأحوال، بل ربما يتضح له وجه الإحكام في شيء، ويغيب عنه في غيره، وليس معنى ذلك عدم وجود الحكمة فيما غاب عنا إدراك وجه إحكامه وإتقانه؛ فإن عدم الإيجاد ليس دليلًا على عدم الوجود.

وعلى هذا الوجه -أي إثبات الحكمة ونفي التعليل- تفهم الآيات التي قد يُعتقَدُ أنها تنص صراحة على أن أفعاله تعالى معللة بالأغراض، وذلك مثل:

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] قال الفخر الرازي بعدم جواز حمل ليعبدون في الآية على التعليل الحقيقي المفهوم من ظاهر اللفظ، بل المقصود هنا المقارنة "وحينئذ يكون معناه قرنت الخلق بالعبادة أي بفرض العبادة أي خلقتهم

١ - الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص: ٩٢

٢ - انظر: د. احمد الطيب: حديث في العلل والمقاصد ص ١٢٦

وفرضت عليهم العبادة"[1] والذي يدل على عدم جواز التعليل الحقيقي أربعة أمور:

الأول: "أن الله تعالى مستغن عن المنافع، فلا يكون فعله لمنفعة راجعة إليه ولا إلى غيره، لأن الله تعالى قادر على إيصال المنفعة إلى الغير من غير واسطة العمل فيكون توسط ذلك لا ليكون علة، "[2]

الثاني: دلالة بعض النصوص "على أن الإضلال بفعل الله كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ [الرعد: ٢٧] وأمثاله ومنها ما يدل على أن الأشياء كلها بخلق الله كقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]"[3]

الثالث: صرائح بعض النصوص الأخرى "التي تدل على عدم ذلك، كقوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾"[4]

الرابع: إن الآية التي تليها تؤكد هذا المعنى، وهي قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ

١- الرازي: مرجع سابق (٢٨/ ١٩٣)
٢ - نفس المرجع والصفحة
٣ - نفس المرجع والصفحة
٤ - نفسه

مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧] "وفيه جواب سؤال، وهو أن الخلق للغرض ينبئ عن الحاجة، فقال ما خلقتهم ليطعِمون"[1] فالأشاعرة وإن كانوا ينكرون الغرض والعلة لفعله تعالى، ولكنهم لا ينكرون الحكمة فيه، سواء ظهرت هذه الحكم لكل واحد، أو غابت عنه، ولهذا لم ينكروا تعلقات الصفات الإلهية.

ووجهة نظر الأشاعرة هذه تعدل ميزان النظرة غير المنضبطة لدى بعض المحدثين؛ من أن الدين جاء لخدمة الإنسان، وبالتالي فهم يعملون على تطويع النصوص خدمة لذلك الغرض الظاهر،على الرغم من أن العكس هو الصحيح؛فمهمة الإنسان في هذه الحياة هي التحقق بالدين، والعمل على خدمة الأصول والمعاني التي تساعده وتساعد غيره على تحصيل هذا الهدف.

والمذهب الثاني: للمعتزلة الذين يعتقدون أن لأفعال الله تعالى أغراضا ومصالح للعباد، ولا يقال لها علل بالمعنى الاصطلاحي الأشعري – وهو السبب الموجب للفعل– وإن كان يصح ذلك على أحد الاستعمالات اللغوية؛ فلا يمتنع أن يقال: إن الله تعالى خلق الخلق لعلة إذا أريد بذلك وجه الحكمة الذي به حَسُن منه الخلق، فالله تعالى خلق الخلق لعلة ليست سوى خلقه لهم، ولا هي موجبة لخلقهم؛[2] ذلك لأنه قادر فاعل مختار، وما وجب وجوده لعلة استغنى عن الفاعل المختار.[3] فالعلم بحُسن الفعل يصح كونه داعيًا لاختياره، وحُسنُ الشيء لا يقتضي وجوب

١ – السابق (٢٨/ ١٩٤)

٢ – انظر: القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل (١١/٩١– ٩٣)

٣ – انظر: المرجع السابق (١١/ ٩٤)

فعله لا محالة؛[١] لأنه صادر من فاعل غني، والغني قد يفعل الفعل الذي هو مستغن عنه لحسنه ولنفع غيره.[٢] فالحكمة أو المنفعة في الخلق عائدة على المخلوق لا على الخالق "ولولا ذلك كان لا وجه لخلقهم؛ لأن من خلق ما لا ينتفع به ولا يزيل بخلقه عنه ضرراً ولا ينتفع به غيره ولا يضر به غيره فهو عابث"[٣]

ولا شك أن موقف المعتزلة هذا مبني على رأيهم في وجوب مراعاة الصلاح في فعله تعالى نفيًا للعبث "فالعالِم بما يفعله متى لم يفعل الفعل لغرض يقتضي حسنه فيجب كونه عابثًا، والعبث قبيح.. والله تعالى لا يفعل القبيح، فيجب خروج أفعاله عن كونها عبثًا."[٤] فهذا جملة ما يجب على المكلف اعتقاده عندهم، أن يعلم أن الله لا يفعل القبيح وأن كل أفعاله حسنة، أما معرفة تفاصيل وجه الحكمة في كل فعل من أفعال الله تعالى فهو مما لا يلزم على المكلف معرفته.[٥] وإذا كنا سلمنا بوجود إله حكيم لا يفعل إلا مافيه صلاح للخلق، وأخبرنا أنه ما خلقنا إلا لنعرفه ولنعبده ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

" أي: وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إياها "[٦] وأن في ذلك خيرًا ومصلحة لنا في تلك المرتبة من الوجود فيجب علينا أن نتعلم كيف نعرفه، ونعلم كيف نعبده، لا أن نسأل عن سبب عبادته، أو عن سبب

---

١ - (١١/ ٩٨)

٢ - (١١/ ٩٩)

٣- مقالات الإسلاميين (١/ ٣١٨)

٤ - القاضي عبد الجبار: مرجع سابق (١١/ ٦٤)

٥ - انظر: السبق ص ٥٩

٦ - الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التزيل (٤/ ٤٠٦)

إخراجنا من العدم لنستكمل وجودنا بمعرفة رب الوجود سبحانه.

فلا خلاف بين الفريقين على أن أفعال الله تعالى تخالف أفعالنا حتى وإن قيس القديم على الحادث، فهو قياس لتقريب الحقائق للذهن وليس للتشبيه أو المماثلة دخل فيه.

الأمر الثاني الذي يفيد في فهم هذه المسألة: هو النظر في آيات القرآن الكريم التي تنبهنا على الحكمة من الخلق – وليس العلة أو الغاية – وأن الله تعالى له حِكَم من كل مخلوق في الكون، وقد صنف الإمام أبو حامد الغزالي (تـ ٥٠٥هـ) رسالة كاملة في (الحكمة في مخلوقات الله عز وجل) ذكر فيها أنه جمع بعض وجوه الحكم من مخلوقات الله تعالى تنبيهًا للعقول على النظر في مخلوقات الله والتفكر والاعتبار مما أودعه من العجائب في مصنوعاته، وقد حثت على ذلك كثير من آي القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، إلى غير ذلك من الآيات البينات والدلالات الواضحات التي يفهمها متدبرها. ونبه على أن ما ذكره من الحِكَم إنما هي حسب ما تنبهت له العقول، على أنه لو اجتمع جميع الخلائق على أن يذكروا جميع ما خلق الله سبحانه وتعالى، وما وضع من الحِكَم في مخلوق واحد من مخلوقاته لعجزوا عن ذلك.[١] فما بالنا بحكمة خلق الجميع؟! وما ذلك إلا لعجز العقول عن فهم ما ورائها، وحاجتها

١ – انظر: الحكمة في مخلوقات الله عز وجل ضمن: مجموعة رسائل الإمام الغزالي ص ٧

إلى العون الإلهي الذي ينبهها لبعض وجوه الحِكَم حسب طاقتها ووسعها. ومن الآيات التي تتحدث عن حكمة الله تعالى من الخلق:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]
- وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]
- وقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[الحجر: ٨٥]

فهذه الآيات وغيرها تدل على أن الله تعالى خلق الخلق لحِكَم، ولم يخلقهم سدى، سواء أدركنا نحن بعض وجوه هذه الحِكَم أم لم ندركها فهذا لا ينافي وجودها، "فكل ما في الوجود ينم عن حكمة ويهدف إلى غاية ويؤدي إلى مصلحة، وإن بدا لنا الأمر أحيانًا على غير هذا النحو بسبب قصور عقولنا عن الإحاطة بالحكمة التي لا يحصيها إلا مبدع الخلق العالم بأسراره ونظمه، ومن قبل عوتب الملائكة في قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] ورد عليهم سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]"[١]

٢- الأمر الثالث: هو فهم موضع الإنسان من الوجود ككل، وهذه مسألة مهمة تحتاج مع إعمال العقل إلى شيء من التزكية وإعمال البصيرة، فإن الله تعالى خلقنا وأراد منا أن نكون عبادًا عالمين متفكرين، وليس عبيدا مأمورين ومنفذين من غير تدبر وتعقل. ألم يسأل أحدنا نفسه

١ - د. حسن الشافعي: لمحات من الفكر الكلامي ص ٣١٣

يومًا: لماذا يحب الناس الحياة ويبغضون الموت -بالمعنى العامي للموت وهو انتهاء الحياة- أو لماذا يحب الإنسان أن يكون له ذرية يعرف بها صفات ذاته التي تخفى عليه أحيانًا كثيرة، فالواحد منا لا يعرف بعض صفاته كالعطف والحب والخوف .. وغيرها إلا من خلال الابن وربما قبل ذلك لا يعرفها، وهو راغب دائما في الحياة باغضًا الموت؟ وما ذلك إلا لأن الحياة والوجود جزء من حقيقية الإنسان، فهو مجبول على حب الحياة واستبعاد العدم، لأن الإنسان جزء من هذا الوجود الكلي الذي هو واجب وممكن، قديم وحادث، "فلو لم يخلق الكون ما كملت مراتب الوجود"[1] كما يقول محيي الدين بن عربي (٥٦٣٨). ولذلك جاء في الحديث القدسي عن الله سبحانه أنه قال: "كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف"[2] فقد أخبرنا سبحانه وتعالى أن الحب كان سبب إيجاد العالم، وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه محب، ومن أحب عرف مقتضى الحب، ومن هنا تعرف عموم الرحمة، رحمة من له الغنى المطلق سبحانه.

ولما أراد الله سبحانه أن يُعرَف بالمعرفة الحادثة ،لتكمل مراتب المعرفة،

---

١ - الحديث في شرح الحديث من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي جمع وتأليف: محمود محمد الغراب (٢/ ٣)

٢ - قال العجلوني: (في لفظ فتعرفت إليهم فبي عرفوني، قال ابن تيمية ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه على ذلك الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلي والسيوطي وغيرهم. وقال القاري: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].. اي ليعرفوني كما فسره ابن عباس، وهو واقع في كلام الصوفية واعتمدوه وبنوا عليه أصولاً لهم) كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس (٢/ ١٠١١)

أوجد الخلق وأمرهم بالعلم به، فلما أراد الحق أن يُعرَف أوجد العالم وتعرف إليهم فعرفوه على قدرهم، وما أبقاهم في العدم، بل أخرجهم للوجود وأشهدهم على أنفسهم أنه رب العالمين فشهدوا وأقروا بذلك، وتلك هي فطرة الله التي فطر الناس عليها. وظهوره تعالى بواسطة تجليات الأكوان فيه لطف كبير؛ إذ لا يمكن شهوده ومعرفته إلا بواسطة هذه التجليات.

فما أوجد الله العالم إلا ليعرفه العالم، والعالم محدث، ولا يقوم به إلا محدث، فقامت به المعرفة بالله إما بتعريف الله، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وإما بالقوة التي خلقت فيه، التي بها يصل إلى معرفة الله من وجه خاص لا غير، وكل صنف من هذه الأصناف صاحب معرفة بالله، فما جهله أحد من خلق الله؛ لأنه ما خلقهم إلا ليعرفوه، فإذا لم يتعرف إليهم بهذه القوة الموصلة التي هي الفكر، أو بالتعرف الإنبائي لم يعرفوه، فلم يقع منه في العالم ما خلق العالم له، وعلى رواية: "فبي عرفوني" أي ما عرفه الخلق بنظرهم، وإنما عرفوه بتعريفه إياهم.[1]

فإذا علم الإنسان مرتبته ووضعه من الوجود ككل فهم الحكمة من خلقه ووجوده، وعمل على الوصول إلى الغاية التي ما أخرجه الله من العدم إلى الوجود إلا من أجلها وهي المعرفة التي تتحقق بالطاعة والعبادة، ولذلك قال الله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]

---

١ – الحديث في شرح الحديث (٢/ ٣–٤) و أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني: إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص ٢٥٦

الدعوى الثالثة

لسنا بحاجة إلى رسل وأنبياء

إن الإلحاد، أو إنكار الدين اعتمادًا على دعوى عدم الحاجة إلى الرسل، والطعن في النبوة بصفة عامة، أخذ شكلين متقاربين على مدار التاريخ الإسلامي؛ إما إنكار النبوة والطعن في طرق إثباتها بشكل صريح ومباشر وهذا نجده ظاهرًا عند بعض المفكرين الذين اشتهر عنهم ذلك كمحمد بن زكريا الرازي[١] (ت ٣١١هـ) وابن الراوندي[٢] (ت ٢٥٠هـ)،

---

١ – محمد بن زكريا الرازي (أبو بكر): طبيب، حكيم، كيمائي. ولد بالري ونشأ بها، ثم اشتغل بعلم الإكسير، وكان في بدء أمره صائغا، وكان يغني ويضرب بالعود، وسافر إلى بغداد، واشتغل بالعلوم العقلية والأدبية، وأخذ عن: البلخي الفيلسوف، وأما صناعة الطب فتعلمها وقد كبر، وتولى تدبير بيمارستان (مشفى) الري، ثم رياسة أطباء البيمارستان العضدي في بغداد، وعمي في آخر عمره وتوفي ببغداد سنة إحدى عشرة وثلاث مائة. من تصانيفه الكثيرة: الحاوي في صناعة الطب في مقدار ثلاثين مجلدا، الطب الروحاني ويعرف بطب النفوس، الترتيب في الكيمياء ألفه للمجربين وسماه أيضا كتاب الراحة، منافع الاغذية، وكتاب في أن للانسان خالقا متقنا حكيما.

وهناك جدل حول كتب ومقالات فلسفية منسوبة للرازي خصوصا تلك التي تنتقد الأديان والنبوة والكتب السماوية. تدعي العديد من المصادر:أن الرازي شكك في صحة النبوة، ورفض المعجزات، وانتقد الأديان السماوية بشكل لاذع، على سبيل المثال ، يوجد رسالة أبي الريحان البيروني بعنوان "فهرست كتب الرازي" ، حيث يصنف البيروني كتابين من كتب الرازي على أنها "كتب في الكفريات" وهما كتاب "في النبوات" و "حيل المتنبين" ، يعتقد البيروني ان الكتاب الاول ينتقد الاديان بينما يزعم أن الكتاب الثاني ينتقد فكرة النبوة.انظر:معجم المؤلفين (١٠/٦-٧)،سير أعلام النبلاء ط الرسالة(٣٥٥/١٤)، ar.wikipedia.org

٢ – أحمد بن يحيى بن إسحاق بن الرّاوندي، أبو الخير، المتكلّم، من أهل مرو الروذ سكن بغداد، وكان من متكلمي المعتزلة، ثم فارقهم وصار ملحدا. ، وكان معتزليا، ثم تزندق. وقيل: كان أبوه يهوديا. قال البلخي: لم يكن في نظراء ابن الراوندي مثله في المعقول، وكان أول أمره حسن السيرة، كثير الحياء، ثم انسلخ من ذلك لأسباب، وكان علمه فوق عقله. قال: وقد حكي عن جماعة أنه تاب عند موته. قال القاضي أبو علي التنوخي كان أبو الحسين ابن الراوندي يلازم أهل الإلحاد فإذا عوتب في ذلك قال إنما أريد أعرف مذاهبهم. ونقل عن الجبّائي أن ابن الريوندي (كما يسميه) وضع كتابا في قدم العالم ونفي الصانع وتصحيح مذهب

وأبو حيان التوحيدي[1] (تـ ٣٨٠هـ)[2] حيث ركزوا على دعائم إثبات النبوة وعمدوا إلى إنكارها، كالمعجزات، وحاجة البشر إلى الرسالة. وإما الطعن في النبوة وإنكارها بشكل غير مباشر – وربما غير مقصود أحيانًا – كمن ينكر حجية السنة، و يشكك في التواتر والإجماع، وقد يؤدي ذلك في النهاية إلى إنكار النبوة بصفة عامة؛ لأن هذا التشكيك لا يؤدي فقط إلى نزع الثقة من أي طريق للاتصال بين السابق واللاحق، بل يؤدي كذلك إلى نزع الثقة من كل مُسَلَّمَة لا تعتمد على شواهد مادية آنية.

الدهر والرد على مذهب أهل التوحيد، وكتابا في الطعن على محمد صلّى الله عليه وسلم. وتناقل مترجموه أن له نحو ١١٤ كتابا، منها (فضيحة المعتزلة) و (التاج) و (والزمرد) و(نعت الحكمة) و (قضيب الذهب) و (الدامغ المتقدم ذكره، وأن كتبه التي ألفها في الطعن على الشريعة اثنا عشر كتابا. ولجماعة من العلماء ردود عليه، نُشر منها كتاب (الانتصار) لابن الخياط. انظر: تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية (٢١/ ٥٧) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٤/ ٦٠-٦١) الوافي بالوفيات (٨/ ١٥١) الأعلام للزركلي (١/ ٢٦٧)

١ – علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي، المتكلم الصوفي، صاحب المصنفات. شيرازي الأصل، وقيل نيسابوري، وقيل واسطي، كان إماما في النحو واللغة والتصوف، فقيها مؤرخا صنف البصائر والإشارات وغيرهما، وتفقه على القاضي أبي حامد المروروذي. قال ابن النجار له المصنفات الحسنة كالبصائر وغيرها. قال وكان فقيرا صابرا متدينا وكان صحيح العقيدة. قال الذهبي أيضا كان سيء الاعتقاد ثم نقل قول ابن فارس في كتاب الفريدة والخريدة كان أبو حيان كذابا قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان تعرض لأمور جسام من القدح في الشريعة والقول بالتعطيل. وقال أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه: زنادقة الإسلام ثلاثة ابن الراوندي وأبو حيان التوحيدي وأبو العلاء. قال وأشدهم على الإسلام أبو حيان. توفي في حدود الثمانين والثلاث مائة أو ما بعد الثمانين. انظر: تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية (٢١/ ١٤٨) الوافي بالوفيات (٢٢/ ٢٨) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/ ٢٨٦)

٢ – ذكرهم الدكتور عبد الرحمن بدوي وبين شبههم في كتابه: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، وقد انتُقِدَت نسبة الإلحاد إلى بعضهم كابن الراوندي، سيما وأن كتبه قد فقدت – على الرغم من كثرة الكتب التي ألفت في الرد عليه عبر التاريخ الإسلامي. انظر: د. عبد الأمير الأعسم: تاريخ ابن الريوندي الملحد، وكذلك بالنسبة لمحمد بن زكريا الرازي. انظر: د. عبد اللطيف العبد: (أصول الفكر الفلسفي عند أبي بكر الرازي)

وقد ساد الاتجاهان في العصر الحاضر، وتعددت أساليب التعبير عنهما ابتداء بمن يرى أننا لسنا بحاجة إلى السنة، وما حاجتنا إليها والقرآن موجود؟ ثم ما حاجتنا إلى القرآن نفسه إذا كان لدينا من العقل والحكمة ما يمكننا من إدارة العالم كما ينبغي، فما يأتي به النبي إما أن يكون متفقًا مع العقل وبالتالي فلا حاجة إليه، وإما أن يكون مختلفًا معه وحينئذ فلن يقبله العاقل. ثم بمن يتساءل: " كيف تكون أقرب إلي من عروقي وتوكل غيرك ليُبلغني عنك ؟"[١] وبمن يسأل مقررًا: " ماهي المشكله أن لا تؤمن بالأنبياء وتؤمن بالله؟ ماهو منطق الاعتراض وماهو العجيب في الأمر؟"[٢] ويعد هذا الأخير امتدادًا لفكر جان جاك روسو[٣](تـ ١٧٧٨م) وما سماه بـ "دين الفطرة" أو "الدين الطبيعي" **Religion of Nature** بمعنى عدم الحاجة إلى الدين، والاكتفاء بما أملاه الخالق على قلب كل فرد، أما عبادة الظاهر وحركات الأعضاء، وإن كان لابد أن توحَد تفاديًا للتناثر والفوضى، فتلك مسألة نظام وسياسة، ولا تستلزم أي وحي.[٤]

وإنكار الملحدين للنبوة يعتمد، في الغالب، على أسس أربعة :

١- **كفاية العقل**: فالبعض يعتقد أن باستطاعة العقل بمفرده أن يتوصل إلى الرشد

---

١ – السهام النارية على الأحاديث القدسية، مجلة الملحدين العرب ص ٤٠

٢ – مقتبس من حوار الشبكة الليبرالية العربية بعنوان: هل إنكار النبوة يعني إنكار الخالق؟ **Liberals.org**

٣ – جان جاك روسو (٢٨ يونيو ١٧١٢، جنيف – ٢ يوليو ١٧٧٨، إيرمينونفيل) هو كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات جنيفي، يعد من أهم كتاب عصر العقل، وهي فترة من التاريخ الأوروبي، امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلاديين. ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة. **ar.wikipedia.org**

٤ – انظر: دين الفطرة ص ٩٠ –٩١

والصلاح، ولا حاجة للإنسان إلى أن يؤمن بمن لم يره ولا يثق في دعوى صدقه، وهو يخبره بما يقر به عقله. كما أن العقل كاف أيضا في معرفة مهمات المعاش والمصالح الدنيوية: "فإنها غير موقوفة على بعثة الأنبياء والرسل؛ لأنا نرى أن من لا يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر يسعى في تحصيل هذه المصالح على أحسن الوجوه. فعلمنا ان التصرف فيها لا يتوقف على بعثة الأنبياء، ولأن العقول الوقادة، والخواطر الغواصة وافية بتحصيل هذه المطالب."[١]

والبعض الآخر يرى أن الله الذي خلق هذا الإنسان قادر على أن يرشد عقله إلى ما فيه خيره وصلاحه دون الحاجة إلى وسيط، هو في عوز دائم إلى إثبات صحة وساطته وصدق إخباره. لماذا لم يخاطب الله عباده مباشرة؟ وتأتي الأسئلة المتعاقبة: "الرب كلم مَنْ؟ كلم بني آدم. ولماذا لم أسمع أنا وأنا من البشر شيئًا من كلامه؟ لأنه كلف أناسًا آخرين ليبلغوا عنه.. ما أكثر الوسائط من البشر بيني وبين الخالق!"[٢]

٢- **إنكار المعجزات**: يعتبر الإلحاد المعاصر أن المعجزات تابعة للخيالات والأوهام، ومن ثم فهي ضرب من الخرافات التي لا تخضع للقوانين العلمية والطبيعية، وإنكارها ينصب على جانبي الإمكان والوقوع[٣]:

---

١ – فخر الدين الرازي: النبوات وما يتعلق بها ص ٩٧ وقد فصل القول في ذلك في فصل بعنوان: (تقرير شبهات المنكرين للنبوات بالبناء على أن العقل كاف في معرفة التكليف، وذلك يوجب سقوط القول بالبعثة والرسالة)

٢ – جان جاك روسو: مرجع سابق ص ٩٤- ٩٥

٣ – عرض كثير من المتكلمين شبه المنكرين للنبوة بشكل تفصيلي وموضوعي لو عرضها المنكرون أنفسهم لم يزيدوا على ماكتبوه شيئًا، ثم ردوا عليها منهجيًا وتاريخيًا ونقليًا. انظر على سبيل المثال: الآمدي: أبكار =

أما من ناحية الإمكان: فيعتمد المنكرون للمعجزات على القوانين العلمية، والضوابط المادية التي تحكم بها التجارب، ويحتجون بأن المعجزات لا تخضع لهذه القوانين، ومن ثم فهي غير ممكنة وأن "المنهج العلمي يقوم على عدة أسس تتضمن الوصول إلى الحقائق وتجربتها واختبارها، وتصفية المعارف من المعلومات غير الدقيقة وغير الصحيحة على الدوام. وهو منهج رصين. وهذه البنية للمنهج العلمي، تسبب مشكلة للمعجزات، فهي دومًا غير قابلة للتحقق من صحتها، أو تعتمد على العواطف والانحياز التأكيدي والإيمان والتصديق بها لكي تقوم بوظيفتها كمحاججة."[1] ويتساءل الملحدون المعاصرون: لماذا يعتمد الإله في إثبات ألوهيته وتصديق رسله على هذه الوسائل غير القابلة للتجربة والتحقق؟ "لماذا يختار الرب، للشهادة على وحيه، وسائل تحتاج بدورها إلى شهادة؟"[2] فإذا كانت المعجزات غير قابلة للخضوع للعقل وللقوانين المادية، بل هي اعتقاد بخرق قوانين الطبيعة، فبأي وسيلة يُحكَم عليها بالإمكان؟ بل هي إلى البطلان أقرب، وإذا بطلت المعجزة بطل القول بالنبوة بصفة عامة، وانتهت فكرة التدين.

وأما من ناحية الوقوع: فإنكاره مبني على إنكار وسائل وصول خبر وقوعها إلى الإنسان؛ فأي إنسان في أي عصر له الحق في التأكد من صحة ما يصله من أخبار، أهو واقع حقًا، أم أنه مجرد أقاويل وأساطير تداولها الناس وصدقوها حتى وصلت إلى مرحلة الحقيقة، ولبست ثوبها، فيعتقد الملحد أن المؤمن في سبيل إثبات

الأفكار ٤/٦٧- ٢٠٠، و غاية المرام ص ٢٣٠ - ٢٦٠ و فخر الدين الرازي: الأربعين في أصول الدين ص ٧٥- ١٣٠ و الغزالي: المنقذ من الضلال ص ٤٤، الاقتصاد في الاعتقاد ص ٧٦

١ - عجز الإعجاز العلمي، مجلة الملحدين العرب - العدد العاشر / شهر سبتمبر ٢٠١٤م

٢ - جان جاك روسو: مرجع سابق ص ٩٦

دعواه بوجود إله وبصحة تدينه بدين معين يلجأ إلى سرد ظواهر غريبة تحدث في مكان خارج الإطار التاريخي والثقافي للمستمع.[١] ليس له طريق إلى إثباته إلا الرواية، وتصديق السابقين كما يقول روسو: "أما ما يستشهد به عادة من معجزات فإنها تقع في ملتقى الطرق، في الصحارى، في الغرف المغلقة، في هذه الظروف يسهل التحكم في عقول عدد قليل من المشاهدين المستعدين سلفًا لتصديق أي حادث. من يتطوع ويذكر لي بالتحديد كم يجب من شهود عيان ليصبح الأمر المعجز قابلًا للتصديق؟ إن كانت الخوارق التي تزعمون أنها تثبت مقالتكم بدورها في حاجة إلى إثبات، ما الفائدة من إيرادها؟ أفضل الاستغناء عنها رأسًا."[٢] فالإنكار والتشكيك لا يتطرق فقط إلى المعجزة في حد ذاتها، بل إلى طرق وصول خبرها إلينا.

٣- **إنكار التواتر**[٣]: إن النظرة المادية للوجود جعلت من المشاهدة الدليل الوحيد على إثبات وجود الشيء، وما لا يصل إلينا بهذا الطريق يرد إليه الشك والإنكار. وقد أنكرت المعجزات من هذا الطريق، وهو طريق الإنكار بناء على عدم المشاهدة أو السماع المباشر، وعدم الاعتراف بما وصل من أخبار توصف بأنها متواترة، وحاصل ذلك أنهم يقولون: "إنا ما رأينا شيئًا من هذه المعجزات، ولكننا سمعنا من جماعة أنهم قالوا: سمعنا من أقوام آخرين. وهكذا على هذا الترتيب، إلى أن اتصل هذا الخبر بأقوام زعموا: أنهم شاهدوا هذه المعجزات،

---

١ – انظر: مجلة الملحدين العرب – مقال سابق

٢ – مرجع سابق ص ٩٧

٣ – الخبر المتواتر: ما بلغت رواته في الكثرة مبلغًا أحالت العادة تواطؤهم، أي توافقهم، على الكذب، فيكون أوله، أي زمان ظهور الخبر، كآخره، وهو زمان الناقل، ووسطه، وهو ما بين زماني الظهور والنقل، كطرفيه، يعني استوت جميع الأزمنة في هذه الكثرة. الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي: (ظفر الأماني بشرح مختصر السيد الشريف الجرجاني في مصطلح الحديث) ص ٣٠

ونحن لا نسلم أن مثل هذا الخبر يفيد اليقين التام."[1] وإلا فلماذا يقبل متواتر المسلمين ولا يقبل متواتر اليهود – مثلًا – في اتفاقهم على بقاء شريعة موسى وعدم جواز النسخ، أو متواتر النصارى في اتفاقهم على قتل عيسى عليه السلام؟!

وهم كذلك ينكرون حجية المتواتر، والاعتراف بوجود جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب، واستبدال ذلك بما أقره ابن الراوندي من قبل وهو (جواز المواطأة على الكذب)[2]، فلكي تقوم حجة لابد من توافر أمور ثلاثة: يجب مشاهدة النبوة، ومشاهدة الحدث المتنبأ به، كما يجب أن يقوم الدليل على أن وقوع الحدث لم يوافق النبوة بالمصادفة. وتحقق هذه الشروط الثلاثة محال، بل المعجزات والنبوءات تؤول إلى الاعتماد على تصديق الغير، وإلى رهن كلمة الخالق بكلمة البشر، ويؤدي الاعتماد عليها وتصديقها إلى وقوع الشك في كل الحقائق التي تصلنا من هذا الطريق، وينتهي الأمر إلى عدم التيقن من وجود إله أصلًا.[3]

٤- **الاعتراف بالأنبياء هو سبب العنف والقتال**: يرى بعض الملحدين أن سبب وجود العنف والقتال في العالم يرجع إلى اختلاف المعتقدات والشرائع، حيث يعتقد كل من يدين بدين معين أنه هو الحق، وأن ماسواه باطل، ليس هذا فحسب، بل يجب محاربة هذا الغير بشتى وسائل العنف. والسبب الرئيس في ذلك هم الأنبياء؛ فبسبب تعددهم

---

١ – فخر الدين الرازي: النبوات وما يتعلق بها ص ١٣٣وسمي متواترًا: لأنه لا يقع دفعة، بل على التعاقب والتوالي. (شرح التفتازاني على العقائد النسفية) ص ٢٩

٢ – انظر: عبد الرحمن بدوي: مرجع سابق ص ١٤٢

٣ – انظر: جان جاك روسو: مرجع سابق ص ١٠٤– ١٠٥

واختلافهم اختلف الناس وتفرقوا، حتى ولو كان في الأديان التي يدعون إليها بعض دعاوى السلام: "فإن أي دين من الأديان الإبراهيمية وربما الأديان عامة يحمل في آياته السلام و الحرب معا يحمل لنا غصن الزيتون و يحمل لنا البندقية في نفس الوقت، و هذا الأمر ناتج طبيعي لهذا الأسلوب الذي اتبعه من يسمون أنفسهم أنبياء"[١]

كما أن في دعوات الأنبياء بالإيمان بوجود حياة باقية غير هذه الحياة الفانية جعلت الإنسان يخاطر بحياته أمام أي دعوى للبقاء والنعيم في الحياة الآخرة، وهذا هو سبب جميع الحروب التي عاشتها البشرية ولازالت تعيشها حتى يومنا هذا.[٢] وتعود دعوى أبي بكر الرازي من جديد وهي: " هلا ألهم الله عباده معرفة منافعهم ومضارهم في عاجلهم وآجلهم، وترك احتياج بعضهم إلى بعض، فإنا نرى ذلك قد أهلك كثيرًا من الناس، وأدخل عليهم أعظم البلاء، في عاجلهم بالعيان وفي آجلهم؛ أما في عاجلهم فلتصديق كل أمة إمامها وضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف واجتهادهم في ذلك."[٣] ومن هنا يأتي تساؤل الملحدين المعاصرين بناءً على ذلك وهو: هل رفض النبوة يعني رفض الخالق؟ وما المانع أن تؤمن بالله ولا تؤمن بالرسل؟ ومن ثم، فما حاجتنا إلى الرسل أصلًا؟

والحقيقة أن دعوى إنكار النبوة، والتشكيك في صدق الأنبياء وحجية

---

١ – محمد صادح (Mohamed Saadeh): الآثار التدميرية للأديان الإبراهيمية، الإسلام نموذجا: الجزء الرابع نصوص العنف و القتال سبب في واقعنا الأليم – ضمن مجلة الملحدين العرب فبراير ٢٠١٤م

٢ – انظر: Sam Harris: The End of Faith p. 26

٣ – رسائل فلسفية للرازي قطعة رقم ١٤ س١– س٩ نقلًا عن: عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٢٦١

أقوالهم ليست وليدة العصر الحاضر، ولقد حمل المتكلمون على عاتقهم مهمة إثبات النبوة ودفع الشبه التي وجهت إليها، ولا أجد اختلافًا كبيرًا بين ما أثير من أسئلة وشبه حول النبوة قديمًا وبين ما يثار حديثًا مع قليل اختلاف في طريقة العرض وفي المنهجية العلمية، إلا الشبهة الأخيرة وهي أن الاعتراف بالأنبياء هو سبب العنف والقتال، وذلك راجع أيضًا إلى فقدان المنهجية والموضوعية، وإلى عدم التفرقة بين الدين وبين أتباع الدين واختلاف فهومهم وتوجهاتهم.

وخلاصة الرد على هذه الأسس الأربعة، وعلى غيرها من الشبهات التي ينبني عليها إنكار النبوة هو: إحكام معرفة أصول ثلاثة أشار إليها الإمام الرازي (تـ ٦٠٦هـ)[١] وهي:

الأول: لا شك أن إثبات النبوة فرع (لازم) عن إثبات إله فاعل مختار، فمن ينازع في إثبات الفاعل المختار لا يجوز له الخوض في إثبات النبوات، بل يجب عليه أولًا الشروع في إثبات الإله. أما من سلم بوجود إله فاعل مختار، فيعلم أنه هو المؤثر والخالق الوحيد في الكون، وليس هناك مؤثر غيره، إذن فهو الفاعل لجميع المعجزات.

الثاني: أن تجويز العقل لورود احتمالات ووجوه كثيرة على شيء (موجود) واحد قد لا يمنع من حصول القطع والجزم بواحد منها؛ فمثلًا إذا نظرت إلى زيد،

١ - أسهب الإمام فخر الدين الرازي في عرض شبه المنكرين للنبوة في كتابه: النبوات وما يتعلق بها، حتى إنه استغرق في ذلك ما يقرب من ثلثي الكتاب، ثم أشار في ثمان صفحات فقط إلى الرد على هذه الشبهات بذكر هذه الأصول الثلاثة، مشيرًا إلى أن العاقل إذا أحكم معرفتها، ووقف على قوتها، زالت عنه هذه الشبهات بأسرها، وأن ذلك من كمال نعم الله تعالى على العباد. وقد أوجزت هذه الأصول الثلاثة، مع تيسير العبارة حتى يتحقق المقصود.

ثم أغمضت عيني ونظرت إليه للمرة الثانية، فالاحتمالات العقلية تقتضي أنه يمكن أن يكون هذا هو بعينه زيد الأول، أو غيره، لكني أقطع – بقرائن أعلمها – أنه هو عين الأول.

فتجويز العقل أن يكون الغرض من المعجزة شيئًا آخر غير تصديق النبي لا يقدح في حصول العلم الضروري أن المقصود منها التصديق بقرائن: الموافقة للدعوى، وعجز المتحدي عن المماثلة.. الخ

الثالث: هو أن تعلم أن تحسين العقل وتقبيحه لا عبرة به، ولا التفات إليه في أفعال الله تعالى، وفي أحكامه؛ فإذا قيل ما الفائدة من نسخ الشرائع، وما الفائدة من التوجه إلى الكعبة دون بيت المقدس؟ فجوابه أن نقول: أحكام الله تعالى غير موقوفة على تحسين العقل وتقبيحه، فيفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد، مادمنا سلمنا أنه إله، فاعل، مختار.[1]

وزيادة لإيضاح المسألة نناقش أسس أو دعاوى إنكار النبوة كل واحدة على حدة:

١- **أما الدعوى الأولى**: وهي القول ببطلان النبوة وعدم فائدتها اعتمادًا على كفاية العقل في معرفة ما يجب وما يجوز وما يَحْرُم على الإنسان فعله فمبنية على ما يسمى بالمأزق المفتعل، أو تصوير الاستقرائي بصورة العقلي؛ وذلك بحصر ما يأتي به الرسل في قسمين: قسم مدرك بالعقول، وقسم غير مدرك بها، وبما أن إرسال رسول ليبين ما هو مدرك بالعقل عبث، وإرساله بما لا يدرك بالعقل غير مقبول لكونه غير معقول فتبطل

---

١ – انظر: النبوات وما يتعلق بها ص ١٥٣ – ١٦٠

دعوى الحاجة إلى الرسل بالكلية. وحل هذا المأزق المفتعل بالإشارة إلى ما يبطل حصر هذه القسمة، وهو وجود قسم ثالث، هو ما لا تستقل به العقول، بل هي متوقفة فيه على المنقول: "وذلك كما في مسالك العبادات ومناهج الديانات والخفي مما يضر وينفع من الأقوال والأفعال وغير ذلك مما تتعلق به السعادة والشقاوة في الأولى والأخرى وتكون نسبة النبي إلى تعريف هذه الأحوال كنسبة الطبيب إلى تعريف خواص الأدوية والعقاقير التي يتعلق بها ضرر الأبدان ونفعها فإن عقول العوام قد لا تستقل بدركها وإن عقلتها عندما ينبه الطبيب عليها، وكما لا يمكن الاستغناء عن الطبيب في تعريف هذه الأمور مع أنه قد يمكن الوقوف عليها والتوصل بطول التجارب إليها لما يفضي إليه من الوقوع في الهلاك والأضرار لخفاء المسالك، فكذلك النبي"[١] فهناك أمور تحتاج إلى العقل، ولكنه لا يستقل بها؛ بمعنى أنه لو ترك بمفرده ما توصل إليها، وإن ظن سهولة الوصول إليها بعد أن اعتاد عليها لكثرة وقوعها، لكنه في البداية عاجز عن إدراكها والوصول إليها بمفرده؛ وذلك ككل أمور العبادات وتفاصيلها، وما خفي على الإنسان من أسرار وحكم نفسه، وعلاقته بخالقه وبالعوالم الأخرى، وتعريفه بمهمته في هذه الحياة، وغير ذلك مما تتعلق به نجاة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة؛ فالطبيب مثلًا عندما ينبه الناس على خواص بعض الأدوية والعقاقير من حيث النفع والضرر ويعتاد الإنسان على استخدام ذلك يظن أن بإمكانه التوصل بمفرده إلى مالم يخبره به الطبيب، وربما يؤدي به ذلك إلى هلاك

---

١ – غاية المرام في علم الكلام ص ٣٢٦

نفسه وضياع الغاية من وجوده.

ومع ذلك نرى بعض المتكلمين كفخر الدين الرازي (تـ ٦٠٦هـ) يذكر فوائد بعثة الرسل في القسمين الأولين وهما: ما يستقل العقل بإدراكه وما لا يستقل به:

أما فائدة إرسال الرسل في الأمور التي يستقل العقل بإدراكها فكثيرة، ومنها:

أ- أن العقل يؤكد ما جاء به الوحي، فيقع عذر المكلف من كل الوجوه، قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: ١٣٤] فبين تعالى أن بعثة الرسل لقطع الحجة.

ب- إن الناس إن قالوا: إن كان خلقنا لنعبده، فقد كان يجب أن يبين لنا العبادة التي يريدها منا أنها ماهي، وكم هي، وكيف هي؟ فإن وجبت أصل الطاعة في العقل، لكن كيفيتها غير معلومة لنا؛ فبعث الله تعالى الرسل لقطع هذا العذر.

و من فوائد إرسال الرسل في الأمور التي لا يستقل العقل بإدراكها:

ت- أن الأشياء المخلوقة في الأرض منها غذاء ومنها دواء ومنها سم، والتجربة لا تفي بمعرفتها إلا بعد الأدوار العظيمة، ومع ذلك ففيها خطر على الأكثر، وفي البعثة فائدة معرفة طبائعها ومنافعها، من غير ضرر وخطر.

ث- لو فوض كيفية العبادة إلى الخلق فربما أتى كل طائفة موضع

خاص، ثم أخذوا يبغضون لها، فيفضي ذلك إلى الفتن، أما وضع الشريعة فما ينافي ذلك.

ج- أن العقول متفاوتة، وما يدركه البعض قد لا يستطيع الآخر إدراكه، والكامل من العقول نادر، والأسرار الإلهية عزيزة جدًا، فلابد من بعثة الأنبياء وإنزال الكتب لإرشاد الناس جميعًا إلى ما فيه صلاحهم.[1]

أما عن لماذا لم يخاطب الله عباده مباشرة بما فيه خيرهم وصلاحهم؟ ولماذا يرسل إليّ بشرًا مثلي ليخبرني عما يريده مني؟ فهذه النظرة الضيقة لحدود كل من الكون ومن العقل الإنساني تأتي نتيجة النظر إلى الدين على أنه ظاهرة يمكن أن تكون لها فائدة في وقت دون وقت ولأناس دون آخرين، كما أن بإمكان الإنسان العاقل تخطيها. لكن لو نظر الواحد منا إلى تعدد أجوبة أفراد أسرته (مثلًا)، الذين يعيشون في بيئة واحدة، وفي ظل ظروف متحدة، عن سؤال واحد فقط يحوي تصورًا ما عن الوجود، أو عن أي شيء للعقل والروح به ارتباط، لعلم يقينًا أن النفوس والعقول متفاوتة في إدراك الحقائق، وحتى في الاتفاق على المصالح والمنافع الدنيوية؛ فما يعتبره أهل قطر معين نوعًا من الخُلُق الحسن، ربما كان في قطر آخر جريمة يعاقب مرتكبها، وما يقدسه أناس يحرمه آخرون.. وغير ذلك من اختلاف أحوال الناس إذا لم يسترشدوا بهدي واحدٍ يجمع شتات أذهانهم، وتغيرات نفوسهم، يُعْلِمَهُم بما غاب عنهم، ويُعَلِمَهُم طرق نجاتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، وهؤلاء هم الرسل والأنبياء الذين اختصهم الله

---

[1] - انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ص ٢١٤- ٢١٥ وذكر غير ذلك من فوائد البعثة الكثير لمن أراد الاستزادة.

تعالى من بين جميع البشر، وعلمهم، وصنعهم على عينه، وخصهم بصفات خَلقية وخُلقية لم يخص بها غيرهم، حتى يتمكنوا من التبليغ عن رب العزة عز وجل. ومع كل هذه الخواص والمميزات لم يجعل الله الهداية والرشاد بتعابيرهم أو باجتهادهم، وإنما أنزل معهم كتبًا تُرى وتُقرأ، باقية في حياتهم وبعد مماتهم. كما أنه: "لا يلزم من تصور الخطاب من المرسِل الاستغناء عن الرسول، فإن ذلك حجر وتحكم على الحاكم في مملكته وهو خلاف المعقول، بل لله - تعالى - أن يصطفي من عباده: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]"[١]

وهذا لا يعني وجود واسطة دائمة بين الله وعباده، أو أن الإنسان لا يستطيع أبدًا أن يتصل قلبه بخالقه يناجيه، ويسأله، ويطلب منه ما يشاء أينما شاء، فهو القائل سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فالرسل ليسوا حائلًا بين الله وعباده، بل هم الباب الذي يوصل إليه سبحانه، كلفهم الله بهذه المهمة الشاقة ليريحنا، فهم صلوات الله وسلامه عليهم تحملوا الكثير والكثير في سبيل وصول أمر الله إلينا؛ ولنا أن نتصور هذا الجهد والعناء في وصف خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم لبعض كيفيات تلقيه الوحي: فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أَشَدُّهُ عليَّ، فَيُفْصَمُ عني وقد وعيت

١ - غاية المرام ص ٣٢٧

عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول» قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته يتزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فَيَفْصِمُ عنه وإن جبينه لَيَتَفَصَّدُ عرقًا.[1]، وقال زيد بن ثابت: «أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي، فَثَقُلَتْ عليَّ حتى خفت أن تَرُضَّ فخذي»[2] وما ذلك إلا لثقل المهمة، ومشقة التلقي، ولقد أعلمه ربه بذلك في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، هذا إلى جانب تحمل المشاق والمتاعب في سبيل بلوغ الدعوى إلينا. فالله تعالى أراد بإرسال الرسل راحتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة، وعافانا من هذه المشقة التي كلف بها خيار خلقه، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

٢- **وأما الدعوى الثانية**: وهي إنكار النبوة اعتمادًا على إنكار المعجزات، فردها ببيان إمكان المعجزة، ومدى اعتماد إثبات النبوة عليها.[3]

أما بيان إمكانها: فيذكر الإمام الغزالي أن دليل إمكانها هو وجودها

---

١ - صحيح البخاري (١/ ٧)

٢ - صحيح البخاري (١/ ٨٣)

٣ - تجدر الإشارة إلى أن المعجزات التي توجه إليه نقد الملحدين وإنكارهم، بناء على عدم قبول خضوعها للقوانين والتجارب العلمية، هي المعجزات الحسية؛ مثل: انفلاق البحر، وإحياء الموتى، وتسبيح الحصى، وغير ذلك؛ فهم يعتقدون أن هذه الأفعال ليست خاضعة للقوانين الطبيعية السائدة في الوجود، إلى جانب أننا لم نراها حتى نتحقق من خرقها لتلك القوانين الطبيعية، فعلى أي أساس نؤمن بالإيمان بها، بالإضافة إلى أن إثبات النبوة، بل إثبات الدين كله متوقف على التصديق بها؟

ووقوعها؛ إذ الوقوع هو اقوى أدلة الإمكان،[١] وأن دليل وجودها هو وجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل، ولكن بإلهام إلهي وتوفيق من جهة الله تعالى، ولا سبيل إليها بالتجربة؛ مثل علم النجوم، فمن الأحكام النجومية مالا يقع إلا في كل ألف سنة مرة، فكيف ينال ذلك بالتجربة. ففي الإمكان وجود طريق لإدراك هذه الأمور التي لا يدركها العقل، وهذا يساعد على إدراك النبوة، وليس معنى ذلك أن النبوة عبارة عن هذا فقط، بل إدراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل أحد خواص النبوة، ولها خواص كثيرة سواها. وإنما يعلل الإمام الغزالي ذكره لهذا الجانب بأن كل إنسان معه أنموذج من نوع هذا الإدراك، وهو مدركاته في النوم.[٢] فمن ينكر إمكان الاتصال بالعوالم الأخرى غير العالم المشاهد لا يستطيع أن ينكر ما يراه في المنامات من أمور لا علاقة لها بعالم الحس وقوانينه.

كما أن ماذكره الإمام الرازي من قبل من أنه لا مؤثر في الوجود إلا الله، والمعروف لدى الأشاعرة بقاعدة العادة، ونفي السببية في العالم الطبيعي، يؤكد إمكان وقوع (وجود) الفعل الخارق للعادة؛ لأن الأشياء لا تؤثر بذواتها، ولكن كل شيء يحدث بفعل الله، وهذا يعطي إمكانية أن يتخلف ما يسمى مسببًا عن ما يسمى سببًا، فتحدث أشياء خارقة لتلك القوانين الطبيعية التي اعتاد عليها الناس[٣]، ويؤكد ذلك العلم الحديث مثل نظرية الفيزياء الحديثة

---

١ – أما من ينكر وقوع المعجزة أصلًا فيعتمد على إنكار التواتر، وسيأتي الجواب عنه في رد الشبهة اللاحقة.

٢ – انظر: المنقذ من الضلال ص ٤٤

٣ – ليس مقصود الأشاعرة بقولهم بالعادة خرق السنن الكونية وصعوبة ضبط الظواهر الطبيعية والتعايش معها، ولكن المقصود رفض الحتمية المطلقة وغلق باب الاحتمال، الذي هو موكول إلى الله تعالى خالق هذه الأشياء بهذا الشكل المنضبط، وهو القادر كذلك على خرقها على سبيل الإعجاز مثلًا.

(quantum) التي فتحت باب الاحتمالية، وأقرت بأن العالم الجسيمي الصغير هو عالم لا يخضع للحتمية الصارمة وأن صفة اللاتحدد فيه هي السائدة.[١]، أو ما اتضح للعلماء من تفسيرات جديدة حول ما كان يعرف بالثقوب السوداء[٢] (Black Holes) التي كان يعتقد من قبل أنها مجرد ثقوب "سوداء" والآن يقولون باحتمال وجود أكوان آخري تقود إليها هذه الثقوب السوداء، مما يفتح أفاقًا جديدة للعالم المادي المحدود، والعود مجددًا إلى فكرة الاحتمالية. كل هذا يؤكد نظرية العادة عند الأشاعرة من علماء الكلام، وأن الارتباط بين الأسباب ومسبباها ارتباط عادي، وليس حتميًا، ومن ثم فوقوع المعجزات ممكن، وليس مستحيلًا، إلى جانب أن هذا ينبهنا إلى وجود إله قادر خبير بخلقه، العالم كله محتاج إليه في وجوده وفي استمراريته ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ

---

١ – انظر: يحي محمد: منهج العلم والفهم الديني ص ١٩٨ وانظر لتوضيح النظرية ص من هذا البحث

٢ – الثقب الأسود هو منطقة في الفضاء تحوي كتلة كبيرة في حجم صغير يسمى بالحجم الحرج لهذه الكتلة، والذي عند الوصول إليه تبدأ المادة بالانضغاط تحت تأثير جاذبيتها الخاصة، ويحدث فيها انهيار من نوع خاص بفعل الجاذبية ينتج عن القوة العكسية للانفجار، حيث إنّ هذه القوة تضغط النجم وتجعله صغيرًا جدًا وذا جاذبية قوية خارقة. وتزداد الكثافة للجسم (نتيجة تداخل جسيمات ذراته وانعدام الفراغ البيني بين الجزيئات)، تصبح قوّة جاذبيته قويّة إلى درجة تجذب أي جسم يمر بالقرب منه، مهما بلغت سرعته. وبالتالي يزداد كمّ المادة الموجودة في الثقب الأسود، وبحسب النظرية النسبية العامة لأينشتاين، فإن الجاذبية تقوّس الفضاء الذي يسير الضوء فيه بشكل مستقيم بالنسبة للفراغ، وهذا يعني أن الضوء ينحرف تحت تأثير الجاذبية. في النسبية يعرف الثقب الأسود بصورة أدق على أنه منطقة من الزمكان تمنع فيها جاذبيته كل شيء من الإفلات بما في ذلك الضوء. يمتص الثقب الأسود الضوء المار بجانبه بفعل الجاذبية، وهو يبدو لمن يراقبه من الخارج كأنه منطقة من العدم، إذ لا يمكن لأي إشارة أو موجة أو جسيم الإفلات من منطقة تأثيره فيبدو بذلك أسود. أمكن التعرف على الثقوب السوداء عن طريق مراقبة بعض الإشعاعات السينية التي تنطلق من المواد عند تحطم جزيئاتها نتيجة اقترابها من مجال جاذبية الثقب الأسود وسقوطها في هاويته. ar.wikipedia.org

﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، حيث لم يوكل من أمره شيئًا إلى أحد أو شيء غيره، بل كل شيء في كونه واقع بفعله وإرادته، حتى إذا أمرنا بالنظر لا ننظر إلا إليه، وإذا أمرنا بالتدبر لا ندرك إلا آثار فعله وحِكَم خلقه، فسبحانه من خالق عظيم حكيم.

أما عن مدى اعتماد إثبات النبوة على المعجزة: فيقرر كثير من المتكلمين – كالغزالي والرازي والآمدي وغيرهم – أن المعجزات الحسية ليست هي الطريق الوحيد لإثبات النبوة، بل هناك طريق آخر قد يكون أقوى من ذلك وهو الاستدلال بمعرفة حقيقة النبوة وأحوالها، ومعرفة آثار النبي في حياته على تغيير النفوس والطبائع، وبمعجزته الباقية بعد مماته –وهي القرآن الكريم– على فعل ذلك أيضًا؛ "فإنا نعرف بظهور المعجز منه –عليه السلام– كونه مشرقًا عند الله على سبيل الإجمال، من غير أن نعرف كيفية ذلك الشرف"[1] لكن لابد من استكمال طريق المعرفة بطلب التحقق من وجه هذا الشرف، ودفع الشك الذي يرد إلى بعض النفوس، فإنك إن "وقع لك الشك في شخص معين، أنه نبي أم لا؟ فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله، إما بالمشاهدة، أو بالتواتر والتسامع، فإنك إذا عرفت الطب والفقه، يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم، وسماع أقوالهم، وإن لم تشاهدهم، ولا تعجز أيضاً عن معرفة كون الشافعي رحمه الله فقيهاً، وكون جالينوس طبيباً، معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير. بل بأن تتعلم شيئاً من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما، فيحصل لك علم ضروري بحالهما. فكذلك إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن والأخبار، يصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه

---

١ – النبوات وما يتعلق بها ص ١٨٤

وسلم على أعلى درجات النبوة، وأعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب .. فإذا جربت ذلك في ألف وألفين وآلاف، حصل لك علم ضروري لا تتمارى فيه. فمن هذا الطريق اطلب اليقين بالنبوة"[1] وإذا حصل للإنسان اليقين من هذا الطريق أصبح حصول المعجزات بالنسبة له تنبيهًا وبرهانًا لحقيقة يعلمها يقينًا، "وبعد ما تقترن المعجزة بدعواه، على ما يجريه اللهو ويثبت صدقه في ذلك بطريق العلم بناء على ما احتفت به من القرائن الظاهرة، والدلائل الباهرة، فلا ينتهض عدمها بعد ذلك دليلًا على كذبه، وإبطاله رسالته، وإلا لوجب أن ينقلب العلم جهلًا وهذا محال."[2] فالمعجزة واحدة من أدلة إثبات النبوة، وليست هي الدليل الوحيد، ولا الأقوى عليها. والإنسان فوق هذا وذاك محتاج في إثبات النبوة إلى الإنصات إلى نداء فطرته، بمنح نفسه فرصة التصفية والتزكية من العوائق التي تحول بينه وبين إدراك الحقائق كما هي.

٣- **وأما دعوى إنكار النبوة بناء على إنكار الخبر المتواتر**: فردها بمعرفة الشروط والضوابط التي يحصل بها التواتر، وبمعرفة نوع العلم الذي يفيده الخبر المتواتر بعد تحقق تلك الشروط: فقد اشترط العلماء للتواتر شروطًا أربعة:

أ- كون عدد الرواة كثيرًا بحيث تحيل العادة اجتماعهم على الكذب.[3] وضابط الكثرة: حصول العلم الضروري به من غير شبهة، كالعلم بالملوك الخالية في الأزمنة الماضية، والبلدان النائية.[4]

ب- كون عدد الرواة بحيث تحيل العادة تواطؤهم، أي توافقهم،

---

١ – المنقذ من الضلال ص ٤٥

٢ – غاية المرام ص ٣٢٨– ٣٢٩

٣ – عامر حسن صبري: حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام ص ٤

٤ – انظر: حاشية الخيالي على شرح التفتازاني للعقائد النسفية ص ٢٩

على الكذب.[١]

ج- رواية هذا العدد عن مثلهم من الابتداء إلى الانتهاء[٢]، بمعنى أن تكون هذه الكثرة في جميع طبقات السند[٣].

د- أن يكون ذلك الخبر مستندًا انتهاؤه إلى الحس من مشاهدة أو سماع، فإن مالا يكون كذلك يجوز دخول الغلط فيه[٤]، ويخرج بذلك القضايا الاعتقادية التي تستند إلى العقل، مثل حدوث العالم، أو وحدانية الله ويخرج القضايا العقلية الصرفة مثل كون الواحد نصف الاثنين، فإن العبرة فيها للعقل لا للأخبار.[٥] وهذا الشرط لابد منه، حيث يحل كثيرًا من الشبه والإشكالات.

فلا يبقى دليل على دعواهم إنكار وجود محمد -صلى الله عليه وسلم- ودعوته للرسالة؛ لأن: "ذلك معلوم ضرورة بخبر التواتر، ومن أنكر ذلك فقد ظهرت مجاحدته، وسقطت مكالمته، كمنكر وجود مكة وبغداد."[٦]

وتبطل بهذه الشروط أيضًا دعوى إمكان التواطؤ على الكذب بحجة أن

---

١ - الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي: (ظفر الأماني بشرح مختصر السيد الشريف الجرجاني في مصطلح الحديث) ص ٣٦

٢ - المرجع السابق ص ٣٦

٣ - عامر حسن صبري: مرجع سابق ص ٤

٤ - الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي: مرجع سابق ص ٣٧

٥ - نور الدين محمد عتر الحلبي: منهج النقد في علوم الحديث ص: ٤٠٤ بتصرف

٦ - أبكار الأفكار (٤/ ١١٢)

احتمال ورود الكذب على خبر كل فرد واحد جائز، والجمع هو مجموع هذه الأفراد فورود الكذب على المجموع أيضًا جائز، وزيادة على ذلك فإن: "الكذب وإن تطرق احتماله إلى كل واحد من الآحاد بتقرير الانفراد عادة، فهو غير متطرق إليه عادة بتقدير فرض الاجتماع.. وليس الحكم على الجملة بما حكم به على الآحاد لازمًا"[١] وهذا مأخوذ من معنى إحالة العقل تواطؤهم على الكذب.

وأما عن سؤال: لماذا يقبل متواتر المسلمين ولا يقبل متواتر اليهود – مثلًا – في اتفاقهم على بقاء شريعة موسى، أو متواتر النصارى في اتفاقهم على قتل عيسى عليه السلام: فبعد معرفة هذه الشروط، لا يكون سؤالًا ذا وجه؛ فخبر قتل عيسى – عليه السلام – لم يبلغ عدد المخبرين به حد التواتر، فإن الذين دخلوا على عيسى كانوا سبعة أو ستة، والغالب أنه لا يحصل العلم بإخبار هذا العدد، فالمخبرون لم يبلغوا حد التواتر في الطبقة الأولى.[٢]

كما أن اتصال طبقات الرواية لا يتحقق في دعوى اليهود بتأبيد شريعة موسى – عليه السلام – حيث إن بُخْتَ نَصَّر قتل اليهود، وقضى على نسلهم، ولم يبق منهم إلا شرذمة قليلة لا يحصل العلم الضروري بخبرهم، فلا يكون خبرهم متواترًا.[٣] ولذلك – وبعد تحقق تلك الشروط – اتفق أكثر العلماء على أن الخبر المتواتر يفيد العلم الضروري : " وذلك لأنه يحصل للمستدل وغيره، حتى الصبيان الذين لا اهتداء لهم بطريق الاكتساب وترتيب المقدمات."[٤] فدعوى إنكار التواتر مردودة بالكلية.

---

١ – السابق (٤/ ١١٤)

٢ – انظر: حاشية الخيالي على النسفية ص ٣٠و ظفر الأماني ص ٣٨

٣ – انظر: ظفر الأماني ص ٣٨ – ٣٩

٤ – التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص ٣٠

٤- أما عن دعوى أن تعدد الأنبياء واختلافهم هو سبب العنف والقتال، ومحاولة إضفاء صفة "القدسية" على جميع الحروب التي دارت في العالم[١]: فإنما تصح لو أن كل واحد من هؤلاء الرسل والأنبياء أرسل من قِبَل إله غير الذي أرسل من قِبَله الآخر، ولكن الحقيقة غير ذلك، فالأنبياء جميعًا جاءوا برسالة واحدة، ودعوة إلى معرفة إله واحد: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤]، ثم إن من حكمة هذا الإله الواحد أن عدد إرسال رسله، بسبب اختلاف الناس وتباعدهم، فاختلفت وسائل

---

١ - انظر على سبيل المثال: جان فلوري: الحرب المقدسة - العنف والدين في المسيحية والإسلام، ترجمة: غسان هايسوو نشر المؤسسة العربية للتحديث الفكري ط١ ٢٠٠٤م، كارين أرمسترونغ: الحرب المقدسة، الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم، ترجمة سامي الكعكي، نشر دار الكتاب العربي ٢٠٠٤م.

التبليغ، واختلفت الشرائع والمناهج، ولم تختلف الدعوى والغاية، وهذا الاختلاف من الإله رحمة وحكمة، لولاه لما استقام أمر الوجود، ولما اكتملت الحكمة: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المائدة: ٤٨]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] فهل يتصور عاقل أن الله تعالى الذي خلق هذا الاختلاف، وجعله ضرورة قائمة إلى قيام الساعة أن يجبر الجميع على عدم الاختلاف، وهو القائل سبحانه: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]؟ فهذه النظرة الصحيحة للدين تحل كثيرًا من المشكلات التي تعانيها مجتمعاتنا اليوم:فـــ "التعَدُّديَّة بينَ النّاس واختلافُهم حقِيقة قرَّرها القُرآن الكَريم، ورتَّب عليها قَانُونَ العَلاقَة الدَّوليَّة في الإسلام، وهو «التَّعَارُف» الذي يَسْتَلزم بالضَّرورَة مبدأ الحوار مع من نتفق ومن نختلف معه، وهذا ما يَحتاجه عالَمُنا المُعاصِر -الآن- للخروج من أزماته الخانقة، ومن هنا كان من الصعب على المسلم أن يتصوَّر صَبَّ النَّاس والأُمَم والشعوب في دين واحد أو ثقافة واحدة، لأن مشيئة الله قضت أن يخلق الناس مختلفين حتى في بصمات أصابعهم، يقول القرآن: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، والمؤمن بالقرآن لا يرتاب في أنه ليس في إمكان قوَّة ولا حضارة أن

تُبدِّل مَشيئة الله في اختلاف الناس ، وينظر إلى النَّظَريَّات الَّتي تحلم بجمع الناس على دين واحد أو ثقافة مركزية واحدة نظرته إلى أحلام اليقظة أو العبث الذي يُداعِب أحلام الطفولة."[١]

فالله سبحانه وتعالى الذي خلق الناس جميعًا، وأفاض عليهم من رحمته ولطفه وجوده الفطرة التي بها يستطيع كل واحد بأقل تنبيه أن يميز بين الحق والباطل، هو سبحانه الذي يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وكيف يكرهنا وهو لا يريد منا سوى أن نخرج من الظلمات إلى النور، أن نعرف ونترقى في مدارج المعارف والسلوك حتى نصل إلى أعلى تكريم في الدنيا، ووصلٍ ونجاةٍ في الآخرة.

فدعوى إلباس الحروب والإرهاب الثوب الديني دعوى مغلوطة، وردها ليس بالنظر إلى من يدعي الانتساب إلى أي دين، ويقوم بأعمال عنف وإرهاب – كما نشاهد هذه الأيام من سلوك بعض الجماعات الإرهابية الذين ينسبون أنفسهم زورًا إلى الإسلام– ولكن بالنظر إلى تعاليم الدين نفسه؛ هل هو يدعو إلى الإرهاب والعنف، أم إلى السلم ومراعاة الاختلاف والتعدد. فإذا كان الله تعالى يقول: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وهو القائل على لسان خاتم أنبيائه –صلى الله عليه وسلم: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾

---

١ – جزء من نص كلمة فضيلة الإمام الأكبر أحمد الطيب شيخ الأزهر أمام البرلمان الألماني مايو ٢٠١٦م

[الكافرون: ٦] فبأي شبهة يستدلون على الإيمان بالإكراه؟! فهم يدَّعون عكس ما يدعو إليه الإسلام، والأديان جميعًا.

فأعتقد أن المشكلة التي يعاني منها العالم الآن، من عنف وإرهاب وقتل، ليست مشكلة دينية، إنما هي مشكلة إنسانية، وسياسية وأخلاقية، أما عن محاولة إلباسها ثوب الدين، وتحميل أهل دين معين سبب هذه المعاناة، فهذا أمر مخالف للشواهد والوقائع؛ فعدد قتلى الخارجين عن التيارات الشيوعية والفاشية أكبر بكثير من نتاج عدد القتلى بسبب الاختلافات الدينية – إن صح التعبير – ومن هم أكثر الناس قتلًا في عصرنا الحاضر؟ هل هم أهل الدين، أم العلمانيون وأصحاب التوجهات السياسية المختلفة؟ هذا مع العلم ان: "كل الأديان لا تقبل بالظلم، ولا تقبل بالعدوان، وإنما هو سوء فهم أو وجود غرض مصلحي، وهذا الغطاء الذي حصل لحالات العدوان أو الظلم، كما رأينا مثلاً في الأعمال الإرهابية التي ينسبها من يقومون بها إلى الإسلام، ويأخذون عنواناً إسلامياً، أو ما يحصل من تطرف يميني مسيحي في أمريكا وأوروبا، أو بعض الممارسات التي تحصل من الصهاينة ويتغطون بغطاء الدين اليهودي، هذه الممارسات من الظلم والعدوان يجب أن نتفق على رفع ونزع الغطاء الديني عن ممارسات الظلم والعدوان، فالذين يمارسون العنف والإرهاب، والذين يمارسون الظلم تجاه الشعوب الأخرى وتجاه الآخرين، هؤلاء ينبغي أن تدينهم كل الأديان وكل المذاهب، وهم حينما يقومون بهذه الأعمال فهم لا يعبرون عن دين، إنما يعبرون عن نوازع شيطانية، وعن ممارسات إجرامية منحرفة"[1]، فتعدد الأنبياء ليس سببًا للعنف والقتال، بل هو سبب للرحمة، ودعوى للتراحم ومراعاة الاختلاف، وإرشاد للتعايش معه في سلم وأمان.

---

١ – جزء من كلمة القاها الشيخ: حسن الصفار بعنوان: الأديان بين عنف الخلاف وتنظيم الاختلاف، في ندوة خاصة من مدريد وبحضور ضيوف يمثلون الإسلام والمسيحية واليهودية.



الدعوى الرابعة

إنكار الحياة بعد الموت

(لماذا اليوم الآخر؟)

يعتقد الملحد – بناء على عدم إيمانه بوجود إله – أن هذا العالم نشأ من العدم والتفرق، وسينتهي إلى نفس المصير، وأن هذه الحياة المشَاهَدة المحسوسة هي المسلمة الوحيدة التي يمكن للإنسان العاقل أن يثق في وجودها، أما وجود حياة أخرى بعد الموت فيرونه نوعًا من الوهم أو الرهان غير المضمون: "فمنذ آلاف السنين والأديان جميعها بلا استثناء تقرع للإنسان طبول الموت.. وتختبئ خلف خوف الإنسان من المجهول والعجز عن البقاء. الخوف من الموت دفع الإنسان ويدفعهُ لاختراع قصص غنية بالخيال عن الموت والحياة مابعد الموت والتي فيها سيكون له تماماً كل مايريد، ليس هذا فحسب بل ستكون الحياة مابعد الموت أبدية بلانهاية أو انقضاء."[1] كل هذا من نسج خيال الإنسان الخائف من الموت، الراغب في رؤية أحبابه وأصدقائه الذين ماتوا قبله، وهو في مقابل دفع الخوف، وغرس الأمل يعقد رهانًا كبيرًا بوجود حياة أخرى بعد الموت فيسأل نفسه: "ماذا لو كان هناك شيء بعد الموت؟ ماذا لو اكتشفنا وجود الله؟ بعبارة أخرى يقول من يؤمن بوجود الله أو حياة أخرى بعد الموت فقط لأنهُ خائف من الموت بأنهُ مهما كانت احتمالية وجود الله صغيرة فمن الأسلم تصديقها خير من الموت واكتشاف وجوده بعد فوات الأوان."[2]

---

١ – بسام البغدادي: ماذا لو اكتشفنا وجود الله بعد الموت؟ مقالات مجلة الملحدين العرب، مجلة رقمية طوعية – ديسمبر ٢٠١٣

٢ – السابق



إذا كان هذا هو اعتقاد الملحد في الحياة بعد الموت، فكيف يرى هذه الحياة الكائنة، وتلك الرحلة الوجودية الذي يعيشها بالفعل؟ بأي رؤية يعيشها؟ وتأتي الإجابة لتصور رحلة الإنسان في الحياة: "جئت كما جاء غيرك إلى الحياة، في ظروف لم تقرر بذاتك ملابساتها، واكتسبت ذات لم تحدد بنفسك معالمها، و سوف تكون بجسدك و ذاتك مجرد قصة كمليارات القصص بدأت لتنتهي.. ذاتك التي تتوهمها خالدة أو تتمنى لها الخلود لغرورك، ولعشقك لها، وللأوهام التي زرعها فيك رجال الدين .. ما هي إلا وهم زائل، وما سوف يبقى منها، إلا أثارها فيمن حولها.. لديك جسد هو بمثابة القرص الصلب في الحاسوب، وذات هي مجرد برامج محملة على هذا القرص الصلب، بفناء القرص الصلب أو عطبه، تفنى البرامج أو تفسد، و تنتهي ذاتك للعدم، و لأننا لا يمكن أن نتخيل وجود برامج منفصلة عن أي قرص صلب، و دون أن تكون مكتوبة بحروف على الورق أو في عقل إنسان أو بوسيلة إلكترونية كما في الحاسوب، فإننا لا يمكن أن نتصور خلود الذات التي يطلق عليها المؤمنون الروح، ويزعمون إمكانية انفصالها عن الجسد "[1]

إذن أين تذهب تلك الروح؟ أتفنى مع البدن؟ أم أن لها نوعًا آخر من البقاء؟ هل تصور وجود الروح يُغَيِر تلك النظرة المادية القائمة على الرؤية العدمية للوجود؟ الإجابة: لا؛ فإن تصورهم للروح لا يبعد كثيرًا عن تلك الرؤية، فما الروح إلا (جزئيات حيوية)، وما أنت أيها الإنسان: "إلا نقطة تجمع فيها عشوائيا ستة وأربعين كروموزمًا من آباءك و أجدادك خلال خمسة أجيال منهم، وسوف تتبعثر عشوائيا تماما بين أبنائك و أحفادك خلال خمس أجيال منهم. جسدك بعد الموت تتبعثر مكوناته في كائنات الطبيعة المختلفة حية وغير حية، فخلايا أجسادنا،

١ – سامح سلامة: الإلحاد يتحدى، إصدار ثالث موسع ومنقح من بذور الإلحاد ص ٨٨

وما تتكون منها من جزيئات حيوية، تتفكك وتتوزع بين شتى الكائنات المادية الحية وغير الحية، من تراب الأرض إلى أجساد الدود التي تلتهمها، وإلى خلايا النباتات التي تتغذى عليها من التربة، ويظل مصير تلك الذرات و الجزيئات التي كانت تكون أجسادنا الحية بعد موتنا، هو التحول الأبدي لذرات حرة ولجزيئات حرة أحيانا أو كذرات وجزيئات تشترك في تكوين كائنات وجزيئات أخرى أحيانا أخرى، وتظل هذه الذرات و الجزيئات تتبعثر في هذا التجول المستمر الذى لا نهاية له بين كائنات مادية أخرى، بعضها قد يكون حيا وبعضها قد لا يكون حيا.. مما يؤكد أن البعث بالجسد بعد الموت وهم، ويبقى التحول الأبدي لمكوناتك بين شتى الكائنات هو الحقيقة."[١] فالحقيقة الثابتة عند الملحد هي هذا الوجود المادي المحسوس، الذي لا يتصور عقله وجودًا غيره، ولا يقبل تصور موجود أرقى منه، فلا بعث ولا حياة أخرى، ولا حتى يقبل الحديث عن الغيب – أو الميتافيزيقا – كمفهوم قابل للتحقق.

ولكي تتضح الإجابة على هذا التساؤل ينبغي أن نعرف أولًا: ما الغيب الذي جعل الله الإيمان به أول صفة من صفات المتقين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢-٣]، ولِمَ رُبطَ بين الإيمان باليوم الآخر وبين التقوى في كثير من آي القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧]، ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠]؟

---

١ – سامح سلامة: مرجع سابق ص ٩١ –٩٦

فالغيب في اللغة هو: كل ما استتر عنك[١]، أو ما غاب عن مداركنا الحسية الخمسة المعروفة، ولذلك قسم العلماء العالم إلى غيب وشهادة، وعرف عالم الشهادة بما وصل إلى الإنسان من علوم ومعارف عن طريق الحواس، وعرف عالم الغيب بما غاب عن تلك المعارف والمدركات الحسية.

وأما الغيب في الاستعمال العقدي فيراد به: "الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير، وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه، أو نصب لنا دليلا عليه. ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال: فلان يعلم الغيب. وذلك نحو الصانع وصفاته، والنبوّات وما يتعلق بها، والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد، وغير ذلك."[٢]

ولا شك أن منشأ البحث عن الأمور الغيبية ليس أمرا دينيا بحتا أكثر مما هو أحد نوازع النفس الإنسانية السوية في مرحلة من مراحل تطورها الإدراكي، فمن منا لم يفكر في أمر وجوده وما بعد وجوده؟ ومن يمكنه أن يهوي بنفسه في غياهب سجن هذه الحواس ولا يتطلع إلى تصور عالم أوسع من هذا العالم المادي المحسوس، حتى لو منامًا، أو خيالًا، أو وهمًا؟ وما ذلك إلا لأن هذا التروع لمعرفة العالم الغيبي جزء من سجية الإنسان المركبة من: الحس والعقل والروح؛ فإنا " نشهد في أنفسنا بالوجدان الصّحيح وجود ثلاثة عوالم: أوّلها: عالم الحسّ، ونعتبره بمدارك الحسّ الّذي شاركنا فيه الحيوانات بالإدراك، ثمّ نعتبر الفكر الّذي اختصّ به البشر فنعلم منه وجود النفس الإنسانيّة علما ضروريّا بما بين جنبينا من مداركنا العلميّة الّتي هي فوق مدارك الحسّ، فتراه عالما آخر فوق عالم الحسّ. ثمّ نستدلّ على عالم ثالث فوقنا

١ – انظر: جمهرة اللغة (١/ ٣٧١)

٢ – انظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التتريل (١/ ٣٩)

بما نجد فينا من آثاره الّتي تلقى في أفئدتنا كالإرادات والوجهات، نحو الحركات الفعليّة، فنعلم أنّ هناك فاعلا يبعثنا عليها من عالم فوق عالمنا "[١]

إذن فلكل واحد منا نزوع فطري نحو التطلع إلى هذا العالم المسمى عالم الغيب، وعنده تصورٌ ما عن وجود حياة بعد هذه الحياة، لكن ليس من الممكن للإنسان أن يتيقن من تفاصيل هذا العالم وهذه الحياة الآخرة إلا من حيث أعلمه الخالق بها. فلماذا ينكر البعض جواز ذلك أو وقوعه؟

السبب الرئيس لهذا الإنكار هو الثقة بالمعطيات الحسية، وقياس ما غاب عن العين بالمشاهد بها، وتعميم الأحكام المادية على الوجود كله؛ فإن: "في طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشي على غير رجل، والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكارا لها"[٢] لذلك جعل الله تعالى التصديق بأمر الغيب وباليوم الآخر من صفات المؤمنين المتقين، وعدم التصديق بذلك تكذيبًا له سبحانه ؛ إذ كيف يتم اختبار الإيمان بقياسك كل الأمور على ميزان تستوى معك فيه جميع الكائنات، وقد فُضِلتَ ومُيزتَ عليها؟! لذلك يقول الله تعالى في الحديث القدسي:" يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني وما ينبغي له؛ أما شتمه فقوله: إن لي ولدًا، وأما تكذيبه فقوله: ليس يعيدني كما بدأني "[٣]، وذلك راجع إلى تعميم أحكام الوجود

---

١ – تاريخ ابن خلدون (١/ ٥٩٦)

٢– إحياء علوم الدين (٤/ ٥١٤)

٣ – الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٠٦) عن عبد الله بن أبي شيبة، عن أبي أحمد، عن سفيان، عن
=

وقلة فهم أمور الغيب، كما يقول الإمام الغزالي: "..وإنما فتور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لأمثال تلك الأمور. ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له إن صانعا يصنع من النطفة القدرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[القيامة: ٣٦ -٤٠]، ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تزيد على الأعاجيب في بعثه وإعادته فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف فقوِّ الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثلها وأسهل منها."[1]

فوجود اليوم الآخر من حيث الجواز العقلي ممكن، وما إنكاره إلا لاستبعاد وقوعه، وغياب أصل قياسه، ومما يعضد إمكانه العقلي أيضًا ما عرف مؤخرًا باسم: تجربة الاقتراب من الموت (N.D.E، Near Death Experience، وتجربة الخروج من الجسد (O.B.E، **Out Body Experience** والتي يحكيها بعض الذين نجوا من أزمات هددت حياتهم، حيث يتعرض بعض الناس لأزمة ما

أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: ٢٧]

١ - إحياء علوم الدين (٤/ ٥١١)

تجعلهم يغيبون عن الوعي لفترة محددة ثم يعودون مرة ثانية ليحكوا عن تجربة عاشوها وشاهدوا فيها نوعًا من مغادرة الروح للجسد وأنهم شاهدوا وعايشوا عالما آخر غير هذا العالم، ورأوا كائنات وصفها أكثرهم بأنها تشبه الملائكة التي ورد وصفها في الكتب المقدسة، وشاهدوا أنهارًا وصفاءً طبيعيًا عبر عنه بعضهم بالجنة، والعجيب أن ما يحكيه أصحاب هذه التجارب متشابه في أغلبه مع بعضه البعض رغم اختلاف أماكنهم وثقافاتهم، وأقربهم طبيب الأعصاب الأمريكي الدكتور إيبين ألكساندر **Eben Alexander** الذي تعرض لهذه التجربة في عام ٢٠٠٨م بعد غيبوبة دامت لقرابة الأسبوع ثم عاد إلى الوعي ليحكي عن تجربته في كتابين شهيرين[١] له يصف فيهما هذا العالم الآخر الذي عاش فيه لحظات هي أشبه بنظرة داخلية لعالم آخر خلف هذا العالم المحسوس، يشعر الإنسان فيه بأنه مجرد روح حرة، لا تتعلق بشيء، ولا تفتقد شيئًا، أو حتى تتذكره. ويذكر أن الشيء الذي استفاده من هذا الرحلة هو أنه جزء من هذا العالم السماوي، الذي لا يمكن أبدًا ان نتصور وجودنا منفصلًا عنه، وأن الفهم الخاطئ بأننا نستطيع بشكل أو بأخر أن نعيش بمعزل عن الله هو مصدر كل أشكال القلق وعدم اليقين الحاصل في العالم.[٢]

هذه التجارب وإن كان يصعب تعميم نتائجها إلا أنها كما يقول إيبين ألكساندر **Eben Alexander** تفتح الباب لتصور علمي جديد للعالم وللكون كله.[٣] مما يرجح حكم الجواز العقلي لوجود عالم آخر غير هذا العالم المشاهد، ثم يأتي دور الوحي الذي يخصص أحد الجائزين بالوقوع، ولذلك يسمى هذا النوع من

---

١ – الكتابان هما: (Map of Heaven) and (Proof Of Heaven)

٢ – انظر: Proof of Heaven p. 59

٣ – انظر: Proof of Heaven p.110

المعلوم: المعلوم من جهة السمع، أو السمعيات؛ لأنه لا يمكن للإنسان إدراك حقيقته وتفاصيله إلا عن الطريق السماع من الوحي: "فإن ذلك من موافق العقول، وإنما يعرف من الله بوحي وإلهام، ونحن نعلم من الوحي إليه بسماع، كالحشر والنشر والثواب والعقاب وأمثالهما."[١] ومن ثم يقبل العقل إمكان حصول اليوم الآخر، ويبقى أمر الوقوع وتفاصيله موكولًا إلى الخالق سبحانه الذي أخبر بذلك وأكد عليه في كثير من آي القرآن الكريم: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ١، ٢].

ولم يخبرنا القرآن الكريم عن الوقوع فقط، بل أقام الأدلة عليه: فضرب الله تعالى المثال لمستبعد الإعادة بالتنبيه على أنه تعالى قادر على أمور هي من نوع الإعادة، بل الإعادة بالنسبة إليها أهون، بقياس الواقع المشاهد، وذلك مثل:

١- قوله تعالى منبهًا إيانا أن ننظر في أنفسنا، ونتدبر بدء الخلق وتغير الأطوار، وانتهاء الحياة المشاهدة بالموت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن

١ - الاقتصاد في الاعتقاد ص ٤٨٦



مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ﴾ [الحج: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٦، ٦٧].

٢- ثم دعوتنا للنظر إلى ما حولنا، كالأرض الميتة، كيف يحييها الله بالماء فيخرج منها الزرع المتنوع: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾() * ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ * ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥-٧].

٣- ثم الدعوة للنظر إلى ما تنبته هذه الأرض من ثمار، كيف يتم ذلك إلا من قادر حكيم، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤]، فتصور المراحل والمدة الزمنية التي تمر بها تلك الزروع والثمار تجعل الإنسان لا يشك في تدخل القدرة الإلهية؛ فـــ: "الحَب وأقسامه، من مطول مشقوق وغير مشقوق، كالأرز والشعير، ومدور ومثلث ومربع، وغير ذلك على اختلاف أشكاله إذا وقع في الأرض الندية واستولى عليه الماء والتراب، فالنظر العقلي يقتضي أن يتعفن ويفسد، لأن أحدهما يكفي في حصول

العفونة، ففيهما جميعًا أولى، ثم إنه لا يفسد بل يبقى محفوظا، ثم إذا ازدادت الرطوبة تنفلق الحبة فلقتين فيخرج منها ورقتان، وأما المطول فيظهر في رأسه ثقب وتظهر الورقة الطويلة كما في الزرع، وأما النوى فما فيه من الصلابة العظيمة التي بسببها يعجز عن فلقه أكثر الناس إذا وقع في الأرض الندية ينفلق بإذن الله، ونواة التمر تنفلق من نقرة على ظهرها ويصير مجموع النواة من نصفين يخرج من أحد النصفين الجزء الصاعد، ومن الثاني الجزء الهابط، أما الصاعد فيصعد، وأما الهابط فيغوص في أعماق الأرض، والحاصل أنه يخرج من النواة الصغيرة شجرتان: إحداهما: خفيف صاعد، والأخرى ثقيل هابط مع اتحاد العنصر واتحاد طبع النواة والماء والهواء والتربة أفلا يدل ذلك على قدرة كاملة وحكمة شاملة فهذا القادر كيف يعجز عن جمع الأجزاء وتركيب الأعضاء."[1]

٤- ثم بالنظر إلى الماء الذي نشربه، وبه يحصل إنبات الزرع: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨، ٦٩] وفي ذلك أدلة على إثبات الحشر: "(أولها:)أن الماء جسم ثقيل بالطبع، وإصعاد الثقيل أمر على خلاف الطبع، فلابد من قادر قاهر يقهر الطبع ويبطل الخاصية ويصعد ما من شأنه الهبوط والنزول. وثانيها: أن تلك الذرات المائية اجتمعت بعد تفرقها. وثالثها: تسييرها بالرياح. ورابعها: إنزالها في مظان الحاجة والأرض الجرز، وكل ذلك

١ – مفاتيح الغيب (٢/ ٣٥٤)

يدل على جواز الحشر. أما صعود الثقيل فلأنه قلب الطبيعة، فإذا جاز ذلك فلم لا يجوز أن يظهر الحياة والرطوبة من حساوة التراب والماء؟ والثاني: لما قدر على جمع تلك الذرات المائية بعد تفرقها فلم لا يجوز جمع الأجزاء الترابية بعد تفرقها؟ والثالث: تسيير الرياح فإذا قدر على تحريك الرياح التي تضم بعض تلك الأجزاء المتجانسة إلى بعض فلم لا يجوز هاهنا؟ والرابع: أنه تعالى أنشأ السحاب لحاجة الناس إليه فههنا الحاجة إلى إنشاء المكلفين مرة أخرى ليصلوا إلى ما استحقوه من الثواب والعقاب أولى"[١]

فرغم ان هذه أمور سمعية، يتأتى العلم بها بعد إثبات وجود الإله الخالق، والإقرار بوجود النبي المرسَل، ولا سبيل إلا معرفتها إلا بالوحي، إلا أن الله سبحانه وتعالى بَيَّن المسألة بالأدلة الساطعة، والأقيسة الدقيقة التي لا يماري فيها إلا مكابر.

أما حكمة القيامة واليوم الآخر فهي فوق أن فيها من الحِكَم الظاهرة: من تحقيق العدل، ووفاء الوعد الإلهي، وإيضاح الحق للخلق، فإن فيها القرار والمنتهى، والحياة الحقيقية، التي إذا وعاها الإنسان بحق تفاعل واستعد لتلك السعادة التي تنتظره، وقد عبر عن ذلك المعنى صدر الدين الشيرازي (تــ ١٠٥٠هـ) بتعبير دقيق حيث يقول: "اعلم أن القيامة صن داخل حجب السماوات والأرض. ومنزلتها من هذه الحجب كمنزلة الجنين من الرحم لأمه؛ ولذلك لا تقوم القيامة إلا: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١، ٢]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤

١ – المرجع السابق (٢/ ٣٥٥)

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١ – ٥]، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ١ – ٤]، و﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: ٨ – ١٠]"[1] فكيف بالإنسان إذا قاس حياته في هذه الدنيا وحياته في الآخرة بحياة الجنين في رحم أمه وخارجه، فبالسعَةِ هذا التصور، ونورانيته، وتحقق معارفه.. إلى غير ذلك من الأمور العظيمة التي يعيها المتدبرون، المفرقون بين النور والظلمة، بين الضيق والسعة، وبعبارة أوضح: بين العدم والوجود؛ لذلك يقول المولى عز وجل: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

---

١ – حقائق البعث والنشور ص ٥٩

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعنده مفاتح غيب الأرض السماوات التي لا يعلمها إلا هو. وبعد

فإن معالجة المشكلة والتعامل مع أسبابها، قبل أن تصل إلى حد الظاهرة، خير من مجرد النقض والاستعداء ورفض المواجهة الموضوعية، وقضية الإلحاد من أهم المشكلات التي تواجه المجتمع اليوم، وقد اتضح من خلال هذا البحث أن أسباب الإلحاد ليست دينية فحسب بل له أسباب متعددة، أهمها:

١- فقدان قيمة التعليم في كثير من المجتمعات العربية.
٢- الفراغ الديني الذي يعاني منه الشباب هذه الأيام.
٣- الثورة النفسية التي يتعرض لها الإنسان تحت ضغوط مختلفة ويجد مخرجه في الثورة النفسية والداخلية التي تترجم في صورة رفضه للدين.
٤- رفع حدود العقل، وتعميم القوانين العقلية والحسية على كل الوجود.
٥- مشكلة وجود الشر في العالم، واستبعاد صدوره من إله يتصف بالرحمة والإحسان.

ذلك يتطلب من كل مؤسسات المجتمع العمل الجاد على هذه الأسباب من أجل تغييرها؛ لأن الأسباب السياسية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية لها تأثير ربما يعادل في كثير من الأحيان تأثير نقص الثقافة الدينية أو الفراغ الديني بكل دواعيه ومسبباته، ومن ثم نتمكن من المعالجة الجذرية للمشكلة. كما يتعاظم الدور على العلماء ورجال الدين للتعامل مع أسئلة الشباب المسلم والملحد بشكل من القبول والاستيعاب والجدية، وقد قام علماء الكلام المسلمون بجهد كبير لمناقشة ورد كثير

من الشبه العقدية التي ترد على كل أصل من أصول الدين، فكانت تلك الجهود جديرة أن تخرج إلى الناس، سيما في هذه الأيام التي يتهم فيها الفكر الديني والتراث الإسلامي بالبعد عن مواجهة المشكلات والقضايا المعاصرة.

كما تبين من خلال هذا البحث أن فهم الأصول العقدية والإيمان بها، وكذلك رد الشبه حولها لا يعتمد فقط على الأدلة العقلية المحضة؛ ذلك لأن هذا الإنسان الموجه إليه الخطاب الإلهي بالتكليف بالتفكر والتدبر والتعقل والتفقه ليس ذا عقل فقط، بل هو مخلوق ذو طبيعة مركبة من حس وعقل وروح، كما أن من تلك الأمور مالا يُدرَك بدايةً إلا بالعقل أو بتوجيه البصيرة إلى الفطرة المجبولة على الحق مثل الاستدلال على وجود الله، وعلى إثبات صدق الرسول في أنه مرسل من عند الله. وهناك أمور أخرى لا يستطيع العقل أن يصل إلى تصور كامل وصحيح عن حقيقتها، أو التحقق منها؛ مثل القضايا المتعلقة بالبعث والحشر، والحياة بعد الموت بصفة عامة، وكذلك أمور الشرائع والعبادات. كما أن هناك من القضايا مالم يرد الشرع بالتصريح بها وتفصيل القول فيها فيحتاج الإنسان فيها إلى العقل مع النص فهمًا وقياسًا واستصحابًا.. الخ والخلط بين هذه المراتب يؤدي إلى كثير من المشكلات الفكرية، كما أن مراعاتها وتوضيحها لدى الأذهان في بداية التعلم أو النقاش يجنبنا إهدار الوقت وبذل الجهد في أمور قد لا تحتاج إلى نقاش بعد بيان من أي مرتبة هي.

واخيرًا فإني أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا العمل بداية نافعة لجهد مشترك من المجتمع ككل للقضاء على المشكلة وهي مشكلة الإلحاد المعاصر.

وصلِ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

د. سونيا لطفي عبد الرحمن

ثبت بأهم المصادر والمراجع

- إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري: (تحفة المريد على جوهرة التوحيد)، شرح أرجوزة جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، تقديم وتعليق: لجنة العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الشريف.
- إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار: (المعجم الوسيط)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
- ابن الوزير اليمني: (إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢- ١٩٨٧م.
- ابن سينا (الشيخ الرئيس): (الإلهيات من كتاب الشفاء) تحقيق: آية الله حسن زاده الآملي،مؤسسة بوستان كتاب - قم.
- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١- ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (الإمام): (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى: (تفسير مقاتل بن سليمان)، عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط ١ - ١٤٢٣ هـ.
- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: (الكشاف عن

حقائق غوامض التنزيل)، دار الكتاب العربي-بيروت، ط٣- ١٤٠٧ هـ .

- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: (جمهرة اللغة)، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١- ١٩٨٧م.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (الإمام): (إحياء علوم الدين)، دار المعرفة بيروت.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (الإمام): (الحكمة في مخلوقات الله عز وجل ضمن: مجموعة الرسائل)، راجعها وحققها: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (الإمام): (فيصل التفرقة)، تحقيق: أحمد شوحان، مكتبة التراث، ط١- ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (الإمام): المستصفى في علم الأصول، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (الإمام): (الاقتصاد في الاعتقاد)، تحقيق: د/ مصطفى عبد الجواد عمران، دار البصائر، ط١- ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (الإمام): (المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، منشورات: الجفان والجابي - قبرص، ط١- ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (الإمام): (المنقذ من الضلال)
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (الإمام): (تهافت الفلاسفة)، تحقيق وتقديم: د: سليمان دنيا، دار المعارف - القاهرة - الطبعة التاسعة.
- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (الإمام): (معارج القدس في

مدراج معرفة النفس)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٢- ١٩٧٥م.

- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١- ١٤١٨هـ.
- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري: (كتاب العين)، د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ٣ - ١٤٢٠ هـ.
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين)، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: (النبوات وما يتعلق)، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية.
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري: (الأربعين في أصول الدين)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤ ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- أحمد الطيب (شيخ الأزهر): (حديث في العلل والمقاصد)، دار القدس العربي - القاهرة، ط١- ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٤م.
- أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني: (إيقاظ الهمم في شرح الحكم)، مطبعة اللبابي الحلبي.
- إسماعيل أدهم (دكتور): لماذا أنا ملحد نشر ملحقًا بمجلة الأزهر بعنوان: حوار الإيمان والإلحاد، دراسة وتقديمك أ.د/ محمد عمارة- عدد جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ.
- إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي (أبو الفداء): (كشف الخفاء ومزيل الإلباس)، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، ط١- ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- بسام بغدادي: (أسئلة جريئة) مجلة الملحدين العرب، العدد الثالث عشر ١٢ ديسمبر ٢٠١٢م.
- جان جاك روسو: دين الفطرة، نقله من الفرنسية إلى العربية: عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط١- ٢٠١٢م.
- جان فلوري: (الحرب المقدسة - العنف والدين في المسيحية والإسلام)، ترجمة: غسان مايسو، نشر المؤسسة العربية للتحديث الفكري ط١ ٢٠٠٤م.
- جميل صليبا (دكتور): (المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية) ذوي القربى للنشر، قم، إيران — الطبعة الأولى.
- حسن محمود عبد اللطيف الشافعي (دكتور): (لمحات من الفكر الكلامي)، دار البصائر، ط١- ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- سامح سلامة:(الإلحاد يتحدى)، إصدار ثالث موسع ومنقح من بذور

الإلحاد.

- ستيفن هوكنج – ليونارد مولدينوو: (التصميم العظيم إجابة عن أسئلة الكون الكبرى) طبعة منقحة، ترجمة: أيمن أحمد عياد، مراجعة: مصطفى إبراهيم فهمي، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان – بيروت، ط٢-٢٠١٥م.
- سعد الدين التفتازاني (الإمام): (العقائد النسفية) ط الحلبي.
- السيد الشريف الجرجاني: (شرح المواقف)، ضبطه وصححه: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- سيف الدين الآمدي: (أبكار الأفكار في أصول الدين)، تحقيق أ.د. أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- سيف الدين الآمدي: غاية المرام في علم الكلام، تحقيق أ.د. حسن الشافعي.المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.
- عامر حسن صبري: (حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- عباس محمود العقاد: (عقائد المفكرين في القرن العشرين) دار المعارف.
- عبد الجبار (القاضي): (المغني في أبواب التوحيد والعدل) الجزء الحادي عشر، تحقيق: أ/ محمد علي النجار، عبد الحليم النجار، مراجعة د/ إبراهيم مدكور، إشراف د/ طه حسين.
- عبد الجبار (القاضي): شرح الأصول الخمسة، تعليق: الإمام أحمد الحسين



بن أبي هاشم، حققه وقدم له: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة الأسرة ٢٠٠٩م.

- عبد الرحمن بدوي (دكتور): (من تاريخ الإلحاد في الإسلام) سينا للنشر، ط٢ ١٩٩٣م.
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي: (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢- ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري: (لطائف الإشارات = تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣.
- عبد الأمير الأعسم: (تاريخ ابن الريوندي الملحد) نصوص ووثائق من المصادر العربية خلال ألف عام. منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت. ط١ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- عبد الله القصيمي: (يا كل العالم لماذا أتيت)، دار الانتشار العربي، بيروت - لبنان، ط٢- ٢٠٠٨م.
- عبد اللطيف العبد: (أصول الفكر الفلسفي عند أبي بكر الرازي) ط١ سنة ١٩٧٧ مكتبة الأنجلو المصرية.
- عمانوئيل كنط: نقد العقل المحض - ترجمة موسى وهبة، دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠١٢م.
- عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح: (طبقات الفقهاء الشافعية) تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط١ ١٩٩٢م

- عمرو شريف (دكتور): (خرافة الإلحاد)، مكتبة الشروق الدولية، ط١ـ ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- كارين أرمسترونغ: الحرب المقدسة، الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم، ترجمة سامي الكعكي، نشر دار الكتاب العربي ٢٠٠٤م.
- محمد باقر الصدر: فلسفتنا – دراسة موضوعية في معترك الصراع الفكري القائم بين مختلف التيارات الفلسفية وخاصة الفلسفة الإسلامية والمادية الديالكتيكية(الماركسية) مؤسسة الصادق للطباعة والنشر – إيران – طهران، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.
- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط١- ١٤٢٢هـ.
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري: (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١- ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي: (تاج العروس من جواهر القاموس)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- محمد عبد الحي اللكنوي الهندي (الشيخ): (ظفر الأماني بشرح مختصر السيد الشريف الجرجاني في مصطلح الحديث)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٣.

- محمود محمد الغراب: (الحديث في شرح الحديث من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي) جمع وتاليف: محمود محمد الغراب، دار الإيمان: دمشق – سوريا – الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ: (المغرب في ترتيب المعرب)، دار الكتاب العربي
- نور الدين محمد عتر الحلبي: (منهج النقد في علوم الحديث)، دار الفكر دمشق–سورية، ط٣– ١٤١٨هـ –١٩٩٧م.
- هوستن سميث: (لماذا الدين ضرورة حتمية – مصير الروح الإنسانية في عصر الإلحاد) تعريب وحواشي: سعد رستم.
- يحي محمد: (منهج العلم والفهم الديني – العبور من العلم إلى الفهم ومن الفهم غلى العلم)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت – لبنان، ط١– ٢٠١٤م.
- يمنى طريف الخولي (دكتور): (الطبيعيات في علم الكلام من الماضي إلى المستقبل) دار الثقافة للنشر والتوزيع.

إحصائيات ومقالات ومجلات ومواقع إليكترونية:

- مواقف جيل الشباب المسلم من الدين وعلمائه (العالم العربي) مؤسسة طابة ٢٠١٦م.
- wikipedia.org
- GLOBAL INDEX OF RELIGIOSITY AND ATHEISM- 2012 A.D
- مجلة الملحدين العرب، العدد الثالث عشر ١٢ ديسمبر ٢٠١٢م.
- منتديات الملحدين العرب (موقع إليكتروني)
- السهام النارية على الأحاديث القدسية، مجلة الملحدين العرب.
- Liberalls.org
- عجز الإعجاز العلمي، مجلة الملحدين العرب – العدد العاشر / شهر سيبتمبر ٢٠١٤م.
- محمد صادح Mohamed Saadeh: الآثار التدميرية للأديان الإبراهيمية، الإسلام نموذجا: الجزء الرابع نصوص العنف و القتال سبب في واقعنا الأليم – ضمن مجلة الملحدين العرب فبراير ٢٠١٤م.
- كلمة فضيلة الإمام الأكبر أحمد الطيب شيخ الأزهر أمام البرلمان الألماني مايو ٢٠١٦م.
- كلمة الشيخ: حسن الصفار بعنوان: الأديان بين عنف الخلاف وتنظيم الاختلاف، في ندوة خاصة من مدريد وبحضور ضيوف يمثلون الإسلام والمسيحية واليهودية.
- بسام البغدادي: ماذا لو أكتشفنا وجود الله بعد الموت؟ مقالات مجلة الملحدين العرب، مجلة رقمية طوعية – ديسمبر ٢٠١٣

مراجع أجنبية:

-Thomas Mautner: (The Penguin Dictionary of Philosophy)

-Alvin Plantinga: (God Freedom and Evil), William B. Eerdmans Publishing Company, printed in United .States of America, 2002

- Sam Harris: The End of Faith, with a new afterword.

- Eben Alexander: Proof of Heaven, A Neurosurgeon's Journey Into the Afterlife, New York, Simon & Schuster, 2012.

فهرس الموضوعات